høïGγ1ïε høïUºεpsDžïqïε høïpøəεRWïε høïpNjNJDžWïε
République Algérienne Démocratique et Populaire
Ïø DžŧγÏε KøΘGÏεNj Ïø ÏFγÏε !øøïŧγÏε γpεRNj
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة
معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

ملحمة الكميت بن زيد الأسدي (دراسة في المضامين والخصائص)

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص أدب عربي قديم

إعداد الطالبين:
ـ بشرى دعاس.
ـ طارق العايب.

إشراف الدكتور:
ـ إبراهيم لقان.

السنة الجامعية: **2018 ـ 2019**

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

بسم الله الرحمان الرحيم الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، والحمد لله العلي الأجل الواحد الفرد القديم الأول، والصلاة والسلام على النبي العربي الهاشمي الأمي وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه إلى يوم الدين.

يسعنا في هذا المقام أن نتوجه بالشكر الكبير لله عز وجل الذي أنار دربنا ويسر أمرنا لإتمام هذا العمل المتواضع، وأكرمنا بالإرادة والعزيمة لمواصلة المسار الدراسي، فكيف لا نشكره وهو القائل: " **ولئن شكرتم لأزيدنكم**". فالحمد والشكر لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

ثم إنه حري بنا ونحن نقطف ثمار جهدنا الذي دام عاما كاملا أن نقدم جزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى من كان له الفضل الكبير علينا في هذا العمل، نشكر الأستاذ الفاضل الدكتور إبراهيم لقان، الذي تفضل بالإشراف على هذه الرسالة ولم يبخل علينا بتوجيهاته القيمة، وجاد علينا بفيض معرفته وخبرته الواسعة وإن قلنا شكرا فشكرنا لن يوفيك حقك جزاك الله خير الجزاء ولك منا فائق التقدير والاحترام.

كما نوجه شكرنا الكبير إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين تفضلوا بقبول مناقشة هذه الرسالة، وتحملوا مشقة قراءتها وتصويبها وبعثها في حلة مشرقة.

كما لا ننسى شكر كل من أسهم بإشعال شمعة في دروب عملنا، ووقف على المنابر وأعطى من حصيلة فكره لإنارة طريقنا.

ونشكر كل من أمد لنا يد العون وزودنا ولو بالنصيحة سواء عن قرب أو عن بعد. لهؤلاء كل الفضل والعرفان.

مقدمة

مقدمة

مع نهاية فترة الخلفاء الراشدين ومجيء العصر الأموي بما حمله من تغيرات وتطورات مست كل مناحي الحياة، فُتح الباب واسعا أمام الشعر والشعراء لترك بصمتهم فيما تناولوه من قضايا الإنسان والحياة، فكان الكميت بن زيد الأسدي نموذجا من فحول شعراء ذلك العصر الذين تجولوا في ربوع الشعر وثناياه، فنظم ألوانا من القصائد مختلفة الحلل تبعا لأهداف الشاعر وتماشيا مع روح العصر، فوجدنا في أبياته: الألم والأمل، الخوف والتحدي الرجاء والتهديد، العتاب والشكوى، وغيرها من المشاعر المتضاربة التي كانت الرجولة والشهامة عنوانها الأبرز.

ولهذا كان موضوعنا المعنون ب: " ملحمة الكميت بن زيد الأسدي ـ دراسة في المضامين والخصائص ـ " واحدا من المواضيع العديدة التي تناولت خلاصة لتجربة حياتية وفنية، فمزج الشاعر بين علمه المأخوذ من مناهل متعددة ووقائع تأثر بها، فصب كل هذا في قالب ملحمي قل وجوده في الأدب العربي.

وقد انطلق هذا البحث من مجموعة من التساؤلات أهمها:

ما هي مضامين وخصائص ملحمة الكميت؟ ما مفهوم الملحمة كجنس أدبي؟ هل عرف العرب قديما شعر الملاحم؟ هل تأثر الشاعر بما عاشه في إيراد مضامين ملحمته؟ كيف نجح في تحقيق الانسجام بين المضامين المعالجة؟ بما امتازت لغة وأسلوب القصيدة؟ وإلى أي مدى ساهمت الصورة الفنية والموسيقى في تقوية المعاني وإضفاء الصبغة الجمالية؟

سنحاول الإجابة عن هذه التساؤلات في هذه الدراسة التي اخترناها لأسباب تراوحت بين الذاتية المحضة والموضوعية الخالصة، فمن الأسباب الذاتية نذكر: محاولة إشباع رغبتنا في تحليل ما تضمنه الشعر الأموي، وتأثرنا بحياة وشعر الكميت، أما السبب الثاني فهو تحفيز الأستاذ الفاضل لنا على البحث في هذا الموضوع، ومن الأسباب الموضوعية نذكر: المساهمة في نفض الغبار عن جزء من كنوز الشعر العربي، وكذا الوقوف على الطبيعة البشرية والجغرافية والتاريخية والفنية في مثل هذه الأعمال، فتوجهنا بذلك مباشرة إلى فتح ديوان الشعر العربي، باب العصر الأموي، فصل الكميت، صفحة الملحمة، لكي نضع بصمتنا إلى جانب بصمات أخرى قام بها من نالوا شرف السبق للبحث في شعر الملاحم وتحديدا في شعر الكميت، ومن هذه الدراسات:

(الصورة الفنية في شعر الكميت) للدكتور عباس عبيد الساعدي، و(جماليات الأسلوب في مدحيات آل البيت) لبوحلاسي خولة، و(أغراض الشعر في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي) لحسن علي الهنداوي.

ونهدف من خلال هذا البحث إلى: التنبيه لأهمية الملاحم العربية ، ومحاولة اكتشاف مكنوناتها من الناحية المضمونية والفنية.

ولبلوغ هذا الهدف اتبعنا المنهج التاريخي الوصفي الذي نراه الأنسب لمثل هذه الأعمال، فهو يمكننا من الولوج إلى مضمون الملحمة وجمالية صياغتها بسهولة، فكل عمل فني يحفل بالعديد من المحتويات والكثير من الجماليات، وكان اعتمادنا على آلية التحليل يحتم استخدام منهج آخر مساعد كالمنهج النفسي.

ومن أجل هذا سطرنا خطة تتكون من مقدمة ومدخل وفصلين متبوعين بخاتمة.

فالمدخل موسوم بعنوان:" الشاعر وفن الملاحم"، خصصناه للتعريف بصاحب الملحمة وما يتعلق بحياته الأدبية، والتعريف بالملحمة كفن أدبي عالمي، ثم بمفهوم الشعر الملحمي، وبشعر الملاحم في التراث العربي القديم، لنخلص إلى التعريف بملحمة الكميت بن زيد الأسدي.

وفي الفصل الأول وعنوانه(تحليل مضامين الملحمة)، تم الحديث عن القضايا التي تناولتها القصيدة والتي انحصرت في: المضامين السياسية، التاريخية، الدينية، الاجتماعية، الجغرافية، النفسية.

أما الفصل الثاني فعنوانه: (الخصائص الفنية للملحمة) وهو تطبيقي، فقد تضمن عدة مباحث: الأول كان لدراسة وتحليل لغة القصيدة وما تميزت به، والمبحث الثاني اقتصر على دراسة الأسلوب بنوعيه الخبري والإنشائي، في حين سلطنا الضوء في المبحث الثالث على الصورة الفنية وعناصرها المختلفة، أما المبحث الرابع والأخير فخصص للموسيقى الشعرية الخارجية والداخلية ودورها في إحداث إيقاع وجرس داخل النص الشعري، وختمنا بحثنا بخاتمة ضمت أهم النتائج.

وقد اعتمدنا في بحثنا على مصادر ومراجع منها:" البيان والتبيين" و" الحيوان" للجاحظ " العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده" لابن رشيق القيرواني، "خزانة الأدب" للبغدادي، " نقد الشعر" لقدامة بن جعفر، فضلا عن بعض المعاجم التي ساعدتنا في شرح بعض

المصطلحات مثل: " معجم مقاييس اللغة" لابن فارس، " معجم التعريفات" للجرجاني، " وكتب أخرى مثل: "في النقد الأدبي" لشوقي ضيف، و البلاغة العربيةّ" لعبد العزيز عتيق.

وبما أن الحياة لا تخلو من الصعاب فإن النجاح لا يأتي على طبق من ذهب، وحلاوته تكمن في صعوبته، ومن الصعوبات التي واجهتنا نذكر:

صعوبة إيجاد مراجع تتحدث عن الملحمة في الأدب العربي بشكل مدقق أو بصورة عامة، وكذلك الوقوف عاجزين عن فهم لغة وأفكار صاحب المدونة في الكثير من الأحيان رغم ذلك تمكننا بتوفيق من الله ـ جل وعلا ـ أن نذلل تلك الصعوبات ليبقى الوصول إلى ممالك العلم أمرا صعبا، لا يتقنه إلا أصحاب النفوس الصابرة والشجاعة الناذرة، فالعلم سلم مهما ارتقينا فيه لن نبصر نهايته.

وفي الأخير نحمد الله ونشكره على إتمام هذا البحث، ونتقدم بخالص الشكر والامتنان للأستاذ الفاضل **إبراهيم لقان** الذي كان نعم العون في إنجاز هذه الرسالة، إذ لم يبخل علينا بتوجيهاته السديدة وإرشاداته القيمة، ومنحنا من وقته الكثير على الرغم من الظروف الصعبة التي كان يمر بها أساتذة المركز الجامعي، فنسأل الله أن يجزيه خير الجزاء.

وندعوا الله أن يوفقنا لما يحب ويرضى.

مدخل

(الشاعر وفن الملاحم)

أولا ـ التعريف بالشاعر الكميت بن زيد الاسدي.

ثانيا ـ تعريف الملحمة. (لغة ـ اصطلاحا)

ثالثا ـ مفهوم الشعر الملحمي.

رابعا ـ شعر الملاحم في التراث العربي القديم.

خامسا ـ ملحمة الكميت بن زيد الأسدي.

مدخل ـ الشاعر وفن الملاحم

يتميز الموروث الأدبي العربي بالثراء والتنوع وذلك استجابة لروح العصور والأحداث المتعاقبة عليها، التي كان لها الدور البارز في تحديد أنماط وموضوعات الأدب خاصة الشعر باعتباره الذاكرة الوحيدة التي احتفظ فيها العرب بموروثاتهم ومآثرهم.

والمتصفح لديوان الشعر العربي يقف مندهشا أمام تلك الزخرفة الشعرية التي تزينت بألوان كل الأغراض المعروفة، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تعداه إلى الخوض في غمار العقيدة والجدل العقلي والسياسة، هذه الأخيرة التي استحوذت على ملكة الشعراء وخصوصا في العصر الأموي؛ عهد الجدل والتحزب السياسي، ما أفرز طائفة من الشعراء صبغوا بصبغة سياسية محضة منهم: عمران بن حطان شاعر الخوارج، وابن قيس الرقيات شاعر الزبيريين، وعدي بن الرقاع شاعر الأمويين، والكميت بن زيد الأسدي شاعر الشيعة الذي استمات في الدفاع عن آل البيت مخلفا بذلك أعظم ملحمة في تاريخ الشعر العربي القديم.

أولا ـ التعريف بالشاعر

كان العصر الأموي حقلا خصبا وجد فيه الشعراء ضالتهم، حيث استغلوا الأحداث الواقعة آنذاك وبلوروها في شكل قوالب شعرية محكمة السبك، ومن هؤلاء الكميت بن زيد شاعر الشيعة الفذ.

1 ـ مولده ونسبه:

"هو الكميت بن زيد الأسدي، بن الأخنس، بن مجالد بن ربيعة بن قيس بن الحارث بن عامر، بن ذئيبة، بن عمرو ابن مالك بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر، شاعر أموي مقدم".[1]

يعتبر من أشرف قريش نسبا إذ ينتهي نسبه إلى قبيلة بني أسد وهي من أقدم وأعرق القبائل العربية وأفصحها لهجة وأعذبها نطقا.

[1]. الكميت بن زيد ألأسدي: الديوان، جمع و شرح: محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 1، 2000، ص 07.

"ولد الكميت بن زيد الأسدي بالكوفة"[1] التي مثلت أهم حواضر البلاد الإسلامية وكانت قبلة للأدباء والشعراء العرب.

وكان مولده" سنة ستين وتوفي رحمه الله تعالى سنة ست وعشرين ومائة"[2]

اتخذ الكميت في مستهل حياته من التعليم مهنة له كونه من أفصح الشعراء العرب وأبرزهم في عصر بني أمية، وكان على قدر كبير من العلم والمعرفة، روي عنه أنه كان يدرس الفقه والحديث النبوي الشريف وكان معلما للنشء. ورد في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة: "حدثنا سهل عن الأصمعي عن خلف الأحمر قال: رأيت الكميت بالكوفة في مسجد يعلم الصبيان، وكان أصم أسلخ لا يسمع شيئا".[3]

وإلى جانب نبوغه في الشعر ومكانته العلمية والأدبية فقد كان أيضا من أشهر الخطباء في عهده، فضلا عن مكانته اللغوية وتملكه لأسباب الفصاحة والبلاغة وذكره الجاحظ في باب حديثه عن الخطب والخطباء مشيرا إلى موهبته الخطابية يقول:" ومن الخطباء الشعراء الكميت بن زيد الأسدي كنيته أبو المستهل".[4]

وقد عاصر في الكوفة كبار الشعراء مثل: الطرماح وكانت بينهما علاقات وصداقات معارضات ومن ذلك ما ذكره ابن قتيبة: "كان بينه وبين الطرماح من المودة والمخالطة، ما لم يكن بين اثنين على تباعد ما بينهما من الدين والرأي؛ لأن الكميت كان رافضيا، وكان الطرماح خارجيا صفريا، وكان الكميت عدنانيا عصبيا، وكان الطرماح قحطا نيا عصبيا وكان الكميت يتعصب لأهل الكوفة كثيرا".[5]

وبهذا كانت نشأة الشاعر علمية محضة أهلته لأن يترك بصمته في شتى مجالات الحياة الأدبية والتاريخية والدينية.

---

[1]. حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي القديم، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 1، 1986، ص 457.

[2]. الكميت بن زيد الأسدي: الديوان، ص 08.

[3]. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، راجعه وأعد فهارسه: الشيخ محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، ط 2 1986، ص 231.

[4]. الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): البيان والتبيين، تح وشر: عبد السلام محمد هارون، ج1، دار الجيل، بيروت لبنان، د ط، د ت، ص 45.

[5]. ابن قتيبة : الشعر والشعراء، ص 232.

2ـ مذهبه:

بعد زوال حكم الخلافة الراشدية حصل تنافر بين المسلمين أدى إلى انقسامات في صفوفهم فاختلفوا في من يستلم مقاليد الحكم فتفرق المسلمون إلى أحزاب وشيع وانخرط كل شاعر في الحزب الذي يتماشى مع توجهه الديني وانتمائه العرقي، فكان الكميت واحدا من هؤلاء؛ إذ اتبع المذهب الشيعي" كان معروفا بالتشيع لبني هاشم مشهورا بذالك".[1] فنظم فيهم أشعارا كثيرة كانت مصدرا لشهرته وذيوع صيته.

عرف الكميت بحبه الكبير لآل البيت وولائه لهم ودفاعه عنهم وكان تشيعه على المذهب الزيدي المعتدل لم يكن تعرضا للصحابة فتولى إمامة فرقة الزيدية وعمل على نشر أفكارها وتحدث عنها في شعره فطالما كان" يضمن شروط الزيدية في الإمام، كأن يكون عالما زاهدا شجاعا سخيا ولا شك أنه استفاد بصورة الاحتجاج العقلي في عصره عند حديثه عن الزيدية حتى لا يعد شعره فيها وثيقة تاريخية تعرفنا أصول هذا المذهب وأهم مصطلحاته".[2]

وبهذا اعتبر شعره مصدرا تاريخيا هاما يعد مرجعا في التعرف على مآثر آل البيت وشروط القيادة وكذا الأصول الفكرية لمذهب الزيدية والشيعة عموما.

3 ـ علمه وثقافته:

يغلب على شعر الكميت الجدل المنطقي، فنجده يقارع بالحجة ويعتمد على الإقناع العقلي وهذا راجع إلى ذوقه العقلي الجيد الذي اشتهر به كما تقل في شعرة نبرة العواطف والأحاسيس الجياشة التي تعبر عن خلجات النفس ومشاعر الحب والغزل الذي كان شائعا في عصره؛ وهذا راجع إلى ترجيح كفة العقل على العاطفة، وعلى الرغم من رواج الغزل بنوعيه الماجن والعذري في عهد الشاعر غير أن اهتمامه لم ينصب على هذا اللون نظرا لتوجهه الفكري وفكرته العقائدية فأبى إلا أن يكرس شعره لخدمة دينه ونصرة حزبه يقول حنا الفاخوري: "ومن ثم شعره أقرب إلى أسلوب الخطاب، ومنه إلى الأسلوب الشعري فهو جدال يركب مركب العقل والتفكير، ويتخذ العاطفة الصادقة وسيلة لتقوية تفكيره وجدله".[3]

---

[1]. الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين): الأغاني، تح: أحسان عباس وآخرون، المجلد7، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 2002، ص05 .

[2]. محمد مصطفى هدارة: الشعر في صدر الإسلام والأموي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د ط، 1995، ص 190.

[3]. حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي القديم، ص457.

ولم تكن ثقافة الشاعر حكرا على الشعر فحسب، بل كان متشعبا في ضروب المعرفة متشبعا منها كونه نشأ في بيئة علمية فتحت له مجال الخوض في غمار الثقافات والعلوم والغوص فيها والاغتراف منها فكانت فيه سمات لم تكن في غيرة من شعراء عصره يقول البغدادي: " كان للكميت خصال لم تكن في شاعر، كان خطيب بني أسد وفقيه الشيعة وحافظ القرآن، وكان ثبت الجنان، وكان كاتبا وكان نسابة وكان جدليا".[1]

فقد جمع بين شتى المعارف وكان له الفضل الكبير في إثرائها فنبغ في الشعر وفصح في الخطابة، ودرس الفقه والحديث كان حفاظه للقرآن... ما جعله ينبغ في ميدان الأدب فقد أخذ من كل علم بطرف شأنه شأن الأديب المبدع.

4 ـ شعره ومكانته:

الكميت من فحول الشعراء العرب وأفصحهم، يتميز شعره بجودة السبك وجزالة الأسلوب وفي شعره مايسترعي الأسماع ويجذب لأنباه، ويؤثر في النفس بألفاظه العذبة ومعانيه العميقة، وكان للبيئة التي نشأ فيها أثرها على شعره وكان متمسك بانتمائه القبلي ما جعل فيه صبغة جاهلية من حيث الولاء للقبيلة والتعصب لها والتفاخر بالأنساب كونه عالم بالمثالب والأيام يقول فيه الأصفهاني: " شاعر مقدم، عالم بلغات العرب، خبير بأيامها فصيح من شعراء مضر وألسنتها والمتعصبين على القحطانية، المقارنين المقارعين لشعرائها العلماء بالمثالب والأيام المفاخرين بها، وكان في أيام بني أمية ولم يدرك الدولة العباسية ومات قبلها".[2]

وغلب على شعره طابع الاحتجاج، فلا تكاد تخل منه قصيدة من قصائده خاصة على الصعيد الديني والسياسي حيث كان يقنع الخصوم وأهل الباطل ويقارعهم بالحجة ليدحض أفكارهم ويبطل زعمهم وقد أشار الجاحظ إلى هذا بعدما تفطن إلى قدرة الشاعر على الاحتجاج وقوة التأثير يقول: "ما فتح للشيعة باب الاحتجاج بالشعر إلا الكميت".[3]

ولعل بائيته الشهيرة خير نموذج على احتجاجه ومنها قوله:

وقالوا أورثناها أبانا و أمنـــا ومـــا أورثهم ذاك أم ولا أب

---

[1]. البغدادي (عبد القادر بن عمير): خزانة الأدب ولب لباب العرب، تح وشر: عبد السلام محمد هارون، ج 4، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 4،1997 ، ص 302.

[2]. الأصفهاني: كتاب الأغاني، مجلد 7، ص 05.

[3]. الجاحظ: البيان والتبيين، ص 207.

ولكن مواريث بن آمنة الذي به دان شرقي لـكم ومـغرب[1]

وأشهر شعر الكميت الهاشميات التي قالها في مدح بنو هاشم رهط الرسول صلى الله عليه وسلم لإثبات حقهم في الخلافة وأسبقيتهم لها وأنها لا تصلح لحي سواهم" وقصائده الهاشميات من جيد شعره ومختاره".[2]

وهكذا كان شعر الشاعر مرجعا ثريا يمكن لكل باحث أدبي الإطلاع عليه والاستفادة منه والاستشهاد به فيما يدعم أفكاره وآرائه.

ثانيا. تعريف الملحمة

تتعدد الأجناس الأدبية التي يعبر من خلالها الإنسان عن تطلعاته ويسرد فيها آرائه ويصب فيها أفكاره؛ حيث يتميز كل جنس أدبي بسمات خاصة به تميزه عن غيره من الأنواع الأخرى، وتنقسم هذه الأجناس إلى قسمين: قسم يتعلق بالشعر في كل صوره مثل: المسرحية والملحمة والخرافة وبعض الأساطير، وقسم خاص بالنثر كالقصة والرواية والمحاضرات والمناظرات... وهلم جرا. ولعل أشهر الأجناس التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالشعر ولا تكاد تنفصل عنه الملحمة التي مثلت أهم الأنواع الشعرية قديما وحديثا وشكلت نموذجا فنيا متميزا، فاستحوذت على اهتمام الشعراء فنظموا فيها قصائد طوالا وتألقوا في الإشادة بإنجازاتهم وبطولاتهم في شتى ميادين القتال والحروب.

وتختلف تعريفات الملحمة وتتعدد باختلاف الأدباء والباحثين وتعدد التفاسير والدراسات قديما وحديثا ومن أشهر التعريفات وأوفاها نذكر:

1 ـ لغة:

تتشعب تعريفات الملحمة من الناحية اللغوية بتشعب القواميس والمعاجم فقد جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس: " لحم: اللام والحاء والميم أصل واحد يدل على التداخل. كاللحم الذي هو متداخل بعضه في بعض، ومن ذلك اللحم، وسميت الحرب ملحمة لمعنيين: أحدهما تلاحم الناس: تداخلهم بعضهم في بعض، والآخر أن القتلى كاللحم الملقى".[3]

---

[1]. الكميت بن زيد الأسدي: الديوان، ص 524.

[2]. ابن النديم (أبو محمد بن أبي يعقوب إسحاق): الفهرست، تح: رضا تجدد، ج1، د د ن، د ط، د ت، ص 179.

[3]. ابن فارس (أبو الحسن أحمد بن زكرياء): معجم مقاييس اللغة، تح وضبط: عبد السلام محمد هارون، ج 5، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، د ط،1972، ص 238.

وجاء في معجم الوسيط: " الملحمة الحرب الشديدة، وموضعها عمل قصصي له قواعد وأصول، يشاد فيه بذكر الأبطال والملوك والآلهة للوثنيين، ويقوم على الخوارق والأساطير وقد يكون شعرا كالإلياذة عند الإغريق، وقد يكون نثرا كسيرة عنترة".[1]

وقال الفيروزآبادي في أصل الملحمة: " الوقعة العظيمة القتل. واستلحم مجهولا: روهق في القتل، نبي الملحمة: نبي القتال أو نبي الصلاح وتأليف الناس، وكأنه يألف أمر أمة والتحمت الحرب اشتدت".[2]

وبتأملنا للمعاني التي اشتملت عليها مادة " لحم" يتبين لنا أن الملحمة في مفهومها اللغوي لا تخرج عن معنيين. أولهما الحرب والقتال، والثاني تآلف الناس واجتماعهم وتلاحمهم لتحقيق أمر معين، بطلها يتميز بالشجاعة والإقدام ما يجعله يقوم بأشياء خارقة وغير مألوفة فتبقى سيرته محفورة في الذاكرة على مر العصور.

2 ـ اصطلاحا:

نلمس من الناحية الاصطلاحية جملة من التعريفات صب فيها كل من النقاد والباحثين أفكارهم وآراءهم انطلاقا من خلفياتهم المعرفية وزوايا نظرهم ومن هذه التعريفات نذكر ما جاء في معجم المفصل إذ يقول التونجي: " هي جنس أدبي ومكانه لدى الأمم القديمة، ولاسيما عند الإغريق، وكانت الملحمة قصيدة تمتاز بالروح القصصية الحماسية الطويلة النفس معروفة بأسلوب راق يعتمد على الجزالة، وتتضمن أفعال بطولية عجيبة وتقص سيرة بطل قومي قام ببطولات خارقة تجلب لأنباه وتسلب العقول".[3]

فالملحمة عنده ليس وليدة الزمن الحاضر، إنما هي ضاربة بجذورها في القدم، تنظم في قوالب شعرية يغلب عليها الطابع الحماسي بأسلوب فني راق، تستند إلى إطار متكامل يجمع بين الحقائق والأمور الخارقة فتبدوا متسقة تمام الاتساق.

---

[1]. مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث: معجم الوسيط، القاهرة، ط 4، 2003، ص 819.

[2]. الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب): القاموس المحيط، تح: مكتبة التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: نعيم العرقسوسي، بيروت، لبنان، ط 8، 2005، ص 1157.

[3]. محمد التونجي: معجم المفصل في الأدب،ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2 ، 1999، ص 823.

ويعرف محمد منذور الملحمة بقوله: " الملحمة قصة شعرية قومية بطولية خارقة للمألوف يختلط فيها الخيال بالحقيقة والتاريخ بالأساطير".[1] لتكون الملحمة بهذا المنظور جزءا من التاريخ ولها علاقة مباشرة بالأساطير.

ويعرفها الدكتور محمد غنيمي هلال في كتابه النقد الأدبي الحديث بعد أن ربطها بالمأساة يقول: " والملحمة كذلك محاكاة عن طريق القصص شعرا، فهي تروي الأحداث ولا تقدمها أمام عيون النظارة أوالقارئين كما يحدث في المأساة، وهذا جوهر ما بينها وبين المأساة من فرق، وبعد ذلك يجب أن تتوفر لها الوحدة التي توجد في المأساة، فتحاكي فعلا واحدا تماما وتكون لها بذلك الوحدة العضوية".[2]

نفهم من هذا أن الملحمة والمأساة تتقاطعان في بعض الخصائص كالوحدة العضوية وتختلفان من حيث المحاكاة.

وعرفها أيضا في كتاب الأدب المقارن بقوله: "هي قصة بطولية تحكى شعرا تحتوي على أفعال عجيبة أي على حوادث خارقة للعادة، وفيها يتجاور الوصف مع الحوار وصور الشخصيات والخطب ولكن الحكاية هي العصر الذي يسيطر على ما عداه، على أن هذه الحكاية لا تخلو من الاستطرادات وعوارض الأحداث، وفي هذه تفترق الملحمة على المسرحية والقصة افتراقا جوهريا".[3]

نستنتج من مجموع هذه التعريفات التي تفصل في معنى الملحمة أنها تنبع كلها من أصل واحد وإن اختلف المفسرون والدارسون إذ لا تخرج عن كونها قصة بطولة تحكى شعرا تسرد أحداث ووقائع تاريخية حول بطولات خارقة لأشخاص غير عاديين يمتزج فيها الخيال بالواقع كما أنها قديمة النشأة أصلها مرتبط ببداية حياة الإنسان على الأرض تتداخل مع التاريخ والأساطير والديانات متخذة منها موضوعا لها، كما أنها تنتهي إلى غاية واحدة تتمثل في تقديس الأبطال والأمجاد وتخليدهم انطلاقا من أعمالهم النبيلة وبطولاتهم الخارقة.

---

[1]. محمد منذور: الأدب وفنونه، إشراف: داليا إبراهيم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د ب، د ط، 2006، ص40.

[2]. محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، 1997، ص 90.

[3]. محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، إشراف: داليا محمد إبراهيم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 9، 2008، ص 122.

ثالثا- مفهوم الشعر الملحمي

حرص الإنسان منذ القديم على تخليد إنجازاته وبطولاته التي حققها، وذلك بهدف ترك بصمة في التاريخ الإنساني وضمان الاستمرارية لاسمه واسم الأمة التي ينتمي إليها فتعددت وسائله في التعبير عن آلامه وآماله، فكان الشعر الملحمي أحد تلك الوسائل؛ إذ اعتبر سجلا جامعا لمآثر السابقين، خاصة في ميادين القتال والحروب." وفي الملاحم يتغنى الشعب بآماله ومثله العليا عرضا لعقائده ونزعاته".[1]

وللتعرف أكثر على هذا الفن الملحمي ينبغي الوقوف على مفهومه الواسع الذي خطه عدد من الدارسين والمشتغلين على هذا المجال؛ إذ يعرفه جورج غريب بقوله: " الشعر الملحمي قصصي بطولي متشعب طويل السرد. فيه العظمة والخوارق والأهداف الكبيرة والآمال الوساع، والنزعة الإنسانية، والاتجاه القومي والمجال الرحيب، وهو أقدم الفنون هدفه الجماعات لا الأفراد، وتمجيد الأمة لا نقد المجتمع".[2]

كان هذا التعريف ملما بكل ما يتناوله الشعر الملحمي من حياه الشعوب والجماعات والوقائع التاريخية التي تحمل في طياتها دلالات كثيرة، وكذا نظرته للحياة من منظور جماعي وإهماله الجانب الذاتي الفردي.

نشأ هذا النوع الأدبي عند اليونان القدامى، باعتبار اليونان مهد الحضارات والرقي وأن أدبها هو الأدب الراقي الذي يجب أن يحتذي به، ويشهد لها بهذا التقدم والازدهار التاريخ بكل ميادينه. والدليل على ذلك بروز كوكبة من الأدباء والفلاسفة في عهد الدولة الإغريقية أمثال: أرسطو وأفلاطون وهوميروس...وغيرهم كثير ممن ساهموا في حمل لواء الثقافة والآداب منذ أبعد العصور.

وقد مر الشعر الملحمي في صيرورته عبر التاريخ بثلاث مراحل أساسية؛ فالملحمة الشعرية في شكلها الأول كانت عبارة عن نقوش خلفها الأسلاف الغابرين على الصخور والأحجار يقول هيجل في كتابه القيم الجمالية: " أول عمل أدبي يحتوي على نواه ملحمية

[1]. محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص 123.

[2]. جورج غريب: الشعر الملحمي تاريخه وأعلامه، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 05.

هو تلك النقوش القديمة التي خلفتها الأجيال البدائية على أعمدة الهياكل والتماثيل والنواويس ذلك أن كلا من هذه النقوش قد خطته في زعم الأقدمين يد روحية".[1]

وكان هذا الشعر الملحمي يتوارث عبر الأجيال؛ إذ اعتقد القدماء بأن الأرواح الطاهرة هي من كانت تقوم بحفر النقوش والرسوم، ولم يقف هيجل عند هذه المرحلة إذ يرى أنه: " بعد مرحلة النقوش تبرز في حياة الملاحم مرحلة ثانية عمد فيها الإنسان إلى صياغة أمثال ومواعظ خلقية أقوى وأدوم من المحسوسات وأعم من نقوش الهياكل والنواويس، وأقدر على الوقوف في وجه صروف الدهر".[2]

وبهذا الشكل انتقل الفن إلى مرحلة أخرى أكثر تطورا من سابقتها، وذلك تزامنا مع تقدم الفكر الإنساني فاكتسب طابعا تعليميا إرشاديا يتضمن المواعظ والوصايا والعبر لتهذيب النفوس والدعوة إلى محاسن الأخلاق ومكارم العادات.

لتأتي مرحلة ثالثة من مراحل الشعر الملحمي تتجلى: " في تلك القصائد الفلسفية والتعليمية التي كانت تعنى بالأفلاك ودورانها، وما يجري في عالمها من تغيرات، وتتحدث عن النجوم والكواكب والفصول وعن مستقبل الأشياء وطبيعتها، والصراع بين العناصر والقوى المتباينة، وقد تعمد إلى تشخيص القوى الطبيعية وترمز إليها بأعمال بشرية".[3]

فكان الهدف التعليمي بارزا في هذه المرحلة غير أنه ارتبط بالظواهر الطبيعية والفلكية عبر الرمز أو القناع، فكان لكل عنصر طبيعي كائن بشري يتجلى فيه ويجسده.

والشعر الملحمي هو شعر غنائي قصصي، كان في بداياته عبارة عن أناشيد مرتبطة بطقوس دينية معينة يلقى مشافهة في مناسبات محددة " كان الشعر الملحمي في بداية عهده من عمل وإلقاء مغني المعبد أو منشده الذي كان يعزف أثناء الإنشاد على الغيتارة ويبدوا أن هذا الفن الشعري قد جاء بلاد الإغريق من مراكز الحضارة الشرقية القديمة عبر آسيا الصغرى".[4]

---

[1]. أحمد أبوحاقة: فن الشعر الملحمي، نقلا عن: صلاح الدين باوية: الحس الملحمي في الشهر الجزائري الحديث والمعاصر، إشراف: الطيب بو دربالة، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر،2014، ص 13.

[2]. المرجع نفسه: ص 13.

[3]. المرجع نفسه: ص 14.

[4]. أحمد عثمان: الأدب الإغريقي ثراتا إنسانيا وعالميا، منتدى سور الأزبكية، القاهرة، ط 3، 2001، ص 32.

نفهم من كل هذا أن الحضارة الشرقية كان لها دور بارز في بعث هذا الفن، ونشره لدى الشعوب المجاورة، فأضاف خصائص أخرى لما أنتجه اليونان سابقا.

ومن أشهر الملاحم الشعرية في التراث الإنساني نذكر منهم: الإلياذة والأوديسا للشاعر اليوناني هوميروس، والإلياذة للروماني فرجيل، ملحمة جلجامش، إضافة إلى ملحمة الخلق الأكادية...

وكنموذج عن الشعر الملحمي عند الإغريق نذكر قول هوميروس في النشيد الثاني من الإلياذة:

لقد طـــال منانا وكل قتالنـا ببـــعد أقـــاويل بـعيـــد مقـيـدها
تقلـــد أيا"أتزيد"بالحزم مثلما عهدتك وليعل الحروب وصـــيدها
ودع حانقا أو حانقين تعمدا مغـادرة الهيجـــاء أنـــت عميـدها [1]

و نذكر مما جاء في ملحمة جلجامش مايلي:

بعـد أن خلق جلجـامش وأحســن الإله العظيــم خـلقه
حـــباه شمس السمـــاوي بـالحسن وخصه "أذد" بالبطولة
جعـــل الآلـهة العظـام صـورة جلـجامش تـامة كـاملة
كان طوله أحد عشر ذراعا وعرض صدره تسعة أشبار
وهيـــــئة جســـــمـــــه لا نظيـــر لهـــــا
وفـــــتك ســـــلاحـــه لا يصـــده شـــيء
وعلى ضربـــــات الطبل تستـــيقظ رعيـته
لازم أبطال"أوروك"حجراتهم متذمرين شاكين
لـــم يتـــرك جلجـــامش ابنا لأبيـــــه.... [2]

هذه الأبيات تدل على البطولة من جهة ومفعمة بالخيال من جهة أخرى، لتلخص لنا ما هية الشعر الملحمي عند القدماء، وتضع صورة عنه ونفهم أن قاعدة هذا الفن ضاربة في القدم.

[1]. هوميروس: الإلياذة، ترجمة: سليمان البستاني، شركة ذات مسؤولية محدودة، القاهرة، مصر، د ط، د ت، ص 261.
[2]. طه باقر: ملحمة جلجامش أوديسة العراق الخالدة، د د ن، د ب، د ط، د ت، ص 39.

رابعا- شعر الملاحم في التراث العربي القديم

الدارس للتراث الأدبي العربي يلمس غناه وثراءه في شتى لأضرب، فلم يترك العرب مجالا من مجالات الأدب إلا وتحدثوا عنه شعرا ونثرا، غير أن الإشكال الذي صادفهم هو عدم التفصيل في كثير من الفنون التي كانت موجودة عندهم في الأصل، فاكتفوا بالتسمية مع بعض الإشارات الطفيفة فحسب دون أن يخصوها بالعناية والاهتمام الواسع ومثال ذلك الشعر الملحمي الذي كان بعض من سماته موجودة في الشعر العربي القديم من قبيل وصف المعارك والحروب بين العرب في الجاهلية والتفاخر بالأنساب والمآثر مثل حرب داحس والغبراء بين قبيلتي عبس وذبيان التي دامت طويلا ونظم فيها الشعراء كثيرا من القصائد فضلا عن الحماسات التي تندرج ضمن الشعر الملحمي.

وأدب الملاحم بصفة عامة كان معروفا لدي مختلف الشعوب في العالم غير أن أثره في الشعر العربي كان ضئيلا في نظر بعض الباحثين؛ إذ يتجلى في قليل من القصائد القصيرة التي لا ترقى إلى المستوى الفني لهذا النوع الأدبي المشهور عالميا ولعل السبب في ذلك يرجع إلى: " أن خيال الجاهليين لم يتسع للملاحم والقصص الطويلة لانحصاره في بادية متشابهة الصور محدودة المناظر، ثم لماديتهم وكثافة روحانيتهم، ثم لفرديتهم وضعف الروح القومية والاجتماعية فيهم، مثل قلة حظر الدين في قلوبهم، وقصر نظرهم عما بعد الطبيعة فلم يلتفتوا إلى أبعد من ذاتهم، ولا إلى عالم غير العالم المنظور، ولا تولدت عندهم الأساطير الخصبة، ولم يكن لأصنامهم من الفن والجمال ما يبعث الروحي في النفوس شأن أصنام اليونان والرومان".[1]

لم يعرف العرب شعر الملاحم بمفهومه الواسع وهذا راجع إلى محدودية خيالهم ونظرتهم الضيقة للكون والحياة، نظرا للظروف البيئية والمعيشية للعربي آنذاك.

لكن هذا لا ينفي وجود قصائد تنبض بالروح الملحمية عند العرب، فقد لمح بعض الشعراء لهذا الفن في فصول دواوينهم بشكل مثير، رغم عدم إفرادهم قصائد خاصة بهذا النوع، فاستعرضوا البطولات وأشادوا بشجاعة وبسالة فرسانهم موظفين أغراض شعرية مناسبة كالفخر والمدح والوصف فصوروا المعارك ومدحوا حماة القبائل في قالب ملحمي يتناسب والبيئة التي كانوا يعيشون فيها" ومما لا شك فيه أن الجاهلية كانت خير بيئة مهيأة لنشوء

[1]. بطرس البستاني: أدباء العرب في الجاهلية والإسلام، دار نظير عبود، بيروت، د ط، 1989، ص 41.

الملاحم، بفضل ما فيها من أحداث وبطولات وأساطير وفروسية وعصبية وغزوات ومفاخرات ومنافرات وأسواق الشعر وخطب وحروب وأحاديث وخوارق وتبجح بالأنساب ووصف لميادين القتال".[1]

فعامل البيئة كان له دوره البارز بفضل ما تزخر به من أحداث وظواهر ووقائع ساهمت في شحذ همم الشعراء واستنهضت قرائحهم فتغنوا وشادوا بمختلف الأمجاد.

والدليل على أن الملحمة كانت موجودة في التراث الأدبي العربي هو ورودها على ألسنة كثير من النقاد والأدباء؛ إذ نجدها في مقدمة ابن خلدون في فصل جدثان الدول والأمم وفي الكلام على الملاحم والكشف عن مسمى الجفر يقول: " ثم كتب الناس في حدثان الدولة منظوما ومنثورا ورجزا ما شاء الله أن يكتبوه، وبأيدي الناس متفرقات منه وتسمى الملاحم وبعضها في حدثان الدولة على العموم وبعضها في الدولة على الخصوص، ووقفت على ملحمة منسوبة لابن العربي الحاتمي، وسمعت أيضا أن هناك ملاحم منسوبة لابن سيناء وابن عقب".[2]

وجاءت على ألسنة الشعراء مثل قول الأخطل:

حتى يكون لهم بالطف ملحمة وبالثوية لم ينبض بها وتـر[3]

وقول أبو تمام:

فـــارس مـــا غـادروه ملحما غير زميــل ولا نكس ولا كل [4]

ولعل ما جعل العرب لا يحضون بقدر كبير من الشعر الملحمي هو أن هذا الفن لم يكن مستقلا من ناحية الموضوع أو الخصائص، فلطالما تمسك العربي بتقاليده الأدبية التي ورثها، ما أفسد على أبطال الشعر والأدب التنويع والتفصيل، فضلا عن الثقافة العربية التي رفضت أي دخيل على موروثاتها الأدبية.

---

[1]. جورج غريب: الشعر الملحمي، ص 09.

[2]. ابن خلدون (ولي الدين عبد الرحمان بن محمد): المقدمة، تح وإخ وتع: عبد الله محمد الدرويش،ج1 ، دار يعرب، دمشق، ط 1، 2004، ص 556.

[3]. الأخطل: الديوان، شرح وتصنيف وتقديم: محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 1994، ص 105.

[4]. أبو تمام (حبيب بن أوس الطائي): ديوان الحماسة، شر: التبريزي، مطبعة التوفيق شارع كلوت، مصر، د ط، 1322هـ، ص 336.

ويدرج أغلب الدارسون القصائد الطوال والحماسات لطول أبياتها ونفسها وغلبة طابع الوصف والفخر عليها على غرار المعلقات السبع، غير أن هناك من ير غير هذا من ذلك قول جورج غريب: " وقد يكون من الإنصاف اعتبار المطولات العربية من قبيل الفخر والحماسة، لا من قبيل الملاحم؛ إذ أن الحماسة وهي في الأصل الشجاعة تعتبر في الشعر وصفا للمغامرات، غير أن أبا تمام في"حماسته" يوسع نطاقها، فتعم إلى جانب ذكر القتال الموت، الحكمة، المدح، الهجاء والغزل وما إلى ذلك، وبتعبير أدق الصبر والتجلد".[1]

وقد اشتهرت عند العرب قديما قصائد عرفت بالملحمات ذكرها أبي زيد القرشي في جمهرته وهذه الملحمات هي:" سبع قصائد إسلامية للشعراء: الفرزدق، جرير، الأخطل عبيد الراعي، ذي الرمة، الكميت والطرماح".[2]

ويمكن أن نقف على نماذج من النفس الملحمي في الشعر العربي القديم لبعض شعراء المعلقات منهم عمر بن كلثوم إذ يقول:

كان سيوفـنا مـنا ومنهم مخـا ريق بأيـدي لاعبينـا
نصبنا مثل رهوة ذات حد محـافظـة وكنـا سابـقينـا
بشبـان يرون القتل مجدا وشيب في الحروب مجربينا[3]

في هذه الأبيات نلمس الروح الملحمية لأن الشاعر يصور مشهد الحرب وحال السيوف في يد الأبطال المغاوير الذين لا يخشون الهيجاء وأنهم سباقون إلى ميادين القتال لا يهابون المنايا إنما يفتخرون بالموت في ساحة الحرب ويعتبرونه شرفا.

وقول الحارث بن حلزة:

وفككنا غل امرئ القيس عنه بعد ما طال حبسه والعناء[4]

فالحارث في هذا البيت أيضا يصور واقعة عظيمة وهي الهجوم على المكان الذي قيد فيه امرئ القيس وفك قيده وإطلاق صراحه بعدما طال عنه العناء في سجنه.

وقول عنترة بن شداد العبسي:

---

[1]. جورج غريب: شعر الملاحم، ص 10 ـ 11.

[2]. محمد التونجي: معجم المفصل في الأدب، ص 824.

[3]. الزوزني: شرح المعلقات السبع، تح: محمد خير أبو الوفاء، راجعه وصححه: مصطفى قصاص، مكتبة البشرى، د ب، ط1 ، 2011، ص 124.

[4]. المصدر نفسه، ص 163.

ويطربنـي والخيـل تعـثر بالقنـا حـداة المنايـا وارتهـاج المـواكـب
وضرب وطعن تحت ظل عجاجه كجبح الدجى من وقع أيدي السلاهب[1]

فالشاعر يتحدث عن الحرب وأنه يحب أجوائها ويستعذب وقع خطى الجياد فيها وأنه يستلذ بالضرب والطعن والإطاحة بالأعداء وهو الفارس المغوار الذي لا يرهبه شيء.

من كل ما سبق نستنتج أن الحس الملحمي في التراث الأدبي العربي لم يكن مغيبا في قصائد الشعراء القدامى كما أنه لم يكن حاضرا على أتم وجهه الحقيقي المعروف عند الشعوب الغربية وأن العرب لم يتفقوا على اصطلاح مسمى الملحمة على نوع معين من القصائد وإنما يفهم المطلع على القصائد العربية بأنها من فن الملاحم من سياق الكلام.

خامسا- ملحمة الكميت بن زيد الأسدي

ملحمة الكميت بن زيد الأسدي هي واحدة من مجموع القصائد العربية التي صنفت ضمن شعر الملاحم عند العرب القدماء التي اقتصرت على سبع من الشعراء الإسلاميين تتميز هذه الملحمة بكثرة أبياتها إذ تتجاوز الثمانون بيتا، وطول نفسها وقيمتها الفنية والجمالية الراقية واشتمالها على عدة أغراض شعرية كالفخر، المدح، الحكمة، العتاب والحماسة التي تعد أبرز الخصائص المميزة للملاحم الشعرية.

وهي من القصائد العمودية التي تخضع للتقاليد الشعرية المعروفة عند العرب في العصر الجاهلي وما بعده حيث طبق فيها الشاعر كل معايير القصيدة العربية الأصيلة من حيث الهيكل والبناء فركز على الجانب الأسلوبي وأهمل الجانب البياني وهذا ما يبرز في معظم قصائد الكميت يقول الجاحظ: " لعل الكميت لم يخرج عن منهج شعراء ما قبل الإسلام في الاهتمام ببناء القصيدة وفق منهجية العناية باللغة واللفظ المتين المسبوك من دون أن يولي الصورة عناية كبيرة، فقد شغف سلفه من شعراء ما قبل الإسلام وصدره بالعناية بالمعاني، لذا تلبس الشاعر دور الخطيب المفوه الذي سعى لشد جمهوره".[2]

---

[1]. عنترة بن شداد العبسي: الديوان، المكتبة الجامعة، بيروت، لبنان، ط 4، 1893، ص 16.

[2]. الجاحظ: البيان والتبيين،ج 1، نقلا عن: العايش سعدوني: التشكيل الفني في هاشميات الكميت،بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه، كلية اللغة والأدب العربي والفنون، جامعة باتنة، ص56.

فالكميت بهذا يكون قد اقتفى أثر سابقيه من الشعراء الجاهليين والذين بعدهم من شعراء صدر الإسلام من حيث الالتزام بعمود الشعر وأصوله ومنهجه ولم يخرج عن شيء من ذلك كما فعل الشعراء المولدون فيما بعد.

جاءت القصيدة في قالب شعري منظم متسق تتكون من ثمانية وثمانين بيتا، حرف رويها الباء يتكرر في جميع أبيات الملحمة وهو من الحروف القوية المجلجلة التي تلاءم التعبير عن المواقف العظيمة وحالات الفخر والهجاء والوصف، كما أن القصيدة تندرج تحت بحر الطويل وهو من البحور الصافية ومفتاحه:

طويل له دون البحور فضائل فعول مفاعيلن فعول مفاعلن.

أما من حيث البناء العام للقصيدة فنجدها ككل القصائد القديمة تتكون من مقدمة وموضوع رئيسي وخاتمة، غير أن الشاعر خالف القدماء في مطلع القصيدة الرئيس حيث كانوا يتبنون أغراض معينة في مقدمات قصائدهم فاشتهرت المقدمة الطللية والخمرية والغزلية... فنجد الكميت يفتتح قصيدته بالحكمة والتأمل والاعتبار ونلمح هذا من خلال حديثه عن تقلب الأيام وتوالي الأحداث وعدم ثبوتها على مجرى واحد، مضيفا بعض المواعظ والعبر التي استفادها من حياته، منوها بدور العقل والأخلاق في تكوين شخصية الرجال من ذلك قوله:

ألا لا أرى الأيام يقضى عجيبها لطول ولا الأحداث تفنى خطوبها

وتفنيد قول المرء شين لرأيه وزينة أخلاق الرجال وضوبها[1]

ثم انتقل إلى الحديث عن علاقته بقبيلة قريش ابتداء من البيت الرابع عشر إذ نجده يشكوا ويتذمر مما فعلته به قريش التي رمته بالظلم والعدوان والقسوة والحقد واستبدلته بغيره بعدما كان لها خير صديق وقريب فلطالما دافع عنها وعن أبنائها، فتأثر بموقف قريش المعادي له وحز في نفسه هذا الأمر فقال:

رمتني قريش عن قسي عداوة وحقد كأن لم تدري أني قريبها

توقع حولي تارة وتصيبني بنبل الأذى عفوا جزاها حسيبها

رمتني بالآفات من كل جانب وبالذربيا مرد فهر وشيبها [2]

[1]. الكميت بن زيد الأسدي: الديوان، ص 60.

[2]. المصدر نفسه، ص 61.

ثم نجده في موضع آخر يفتخر بأصله وانتمائه لها على الرغم مما لقيه وناله منهم من أذى واضطهاد وهنا نلمس الجانب العاطفي للشاعر وسماحته وهذا راجع إلى نزعته الدينية وتأثره بأخلاق الإسلام السمحة وخصال الرسول صلى الله عليه وسلم النبيلة وما يثبت هذا قوله:

ومـــورد خـيلنا عكـــاظ كأنها بواكيـــر طير بات قيـا عدوها

تهتكها البيض الشهاميم حسرة يهيج اكتئاب الجن وهنا كئيبها[1]

كما استعمل المدح كمطية انتقل بها إلى باب الحماسة التي تعتبر جوهر الملاحم، ذاكرا صفات محاربيهم وأبطالهم في ميادين القنا فقال فيهم:

مغاوير أبطال مساعير في الوغى إذا الخيل لم يثبت وفر أريـبها

قـــدورهم تغلـــي أمـــام فنائهـــم إذا ما الثريا غاب عصرا رقيبها [2]

اعتبر الشاعر فرسان قبيلته مثال يتحدى به في الشجاعة وخوض الحروب، كما أنه ذكر الوسائل المتعلقة بالفارس والحرب من سيوف ورماح وهي تتصل مباشرة بالبطل المحارب فجعلها أشياء أساسية تميز رجالهم.

وبهذا فازت قصيدة الكميت هذه باسم الملحمة ولقيت شهرة واتخذت مكانة مرموقة في تاريخ الأدب العربي القديم بفصل ما تتضمنه من قيم روحية، أخلاقية، فكرية، وحماسية عالية فضلا عن تصدرها مرتبة الملاحم العربية السبع الشهيرة.

---

[1]. القرشي (أبي زيد محمد بن أبي الخطاب): جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تح وشر: علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، 1981، ص 791.

[2]. المصدر نفسه، ص 193.

الفصل الأول

تحليل مضامين الملحمة

أولا ـ المضامين السياسية.

ثانيا ـ المضامين التاريخية.

ثالثا ـ المضامين الفكرية.

رابعا ـ المضامين الجغرافية.

خامسا ـ المضامين الاجتماعية.

سادسا ـ المضامين النفسية.

الفصل الأول: تحليل مضامين الملحمة

تعددت المضامين الشعرية التي نظم فيها الشاعر قصيدته وتنوعت بتنوع المناسبات فمزج بين فنون شعرية كثيرة من فخر، مدح، هجاء، حماسة، عتاب، حكمة... وغيرها من الأغراض الشعرية المعروفة في تاريخ الأدب العربي قديمه وحديثه، فضلا عن جملة من المضامين التاريخية، الدينية والطبيعية التي كان لها حضورا بارزا في هذه القصيدة وساهمت في إثرائها فنيا وأسلوبيا وفكريا. وإذا كان الكميت كنز شعراء العصر الأموي؛ فإن ملحمته هذه هي الجوهرة التي رفعت قيمة ذلك الكنز، هذه الأخيرة التي تغذت من عدة روافد فكرية ومنابع أدبية، فتنوعت بذلك مضامينها مشكّلة قالبا فنيا ملحميا كان من سماته التماسك والتسلسل، ومن أبرز مضامين هذه الملحمة:

أولا ـ المضامين السياسية (الشعر السياسي)

كان للجانب السياسي في الأدب الأموي نصيب مهم خاصة في الشعر، مما أدى إلى ظهور لون شعري جديد لم يكن معهودا في السابق، وهو ما يعرف بالشعر السياسي فهو أدب غايته السياسة، ويسعى دائما إلى خدمة السلطة والدفاع عنها، قد ينبع عن روح عقدية سياسية في الشاعر أو بدونها، تغلب عليه قوة الحماسة والعصبية القبلية، فنجد الشاعر يكن ولاء فريدا من نوعه لقبيلته، فهو شعر العواطف المتناحرة والدين والسيادة والحرية، ومهما تعددت فيه الأغراض تبقى الحماسة الغرض البارز الذي يغلب عليه، يقوم هذا اللون الشعري على الفخر الذي أضفى عليه صبغة جاهلية قديمة من جهة مفاخرات القبائل ومنافراتها وخصوماتها .

ظهر هذا الشعر مع ظهور الأحزاب والفرق الإسلامية التي جاءت مع هبوب ريح الفتن واشتد عصفها بمقتل الخليفة عثمان بن عفان وحدوث تنافر وانقسامات في صفوف الدولة الإسلامية " الشعر لم يلتزم بالسياسة التزاما حقا إلا بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان وما أعقبه من فتن وحروب أهلية متصلة، انقسم العرب فيها إلى شيع وأحزاب تتنافس على السلطة، وتختلف في فهمها للنظام ".[1]

نتج هذا الشعر متأثرا بمجموعة من الظروف منها: تسلط الأمويين على غيرهم خاصة الموالي من غير العرب وانتهاجهم سياسة العنصرية والتفرقة فأخذ الناس ينقسمون إلى أحزاب

[1]. محمد أبو ربيع: في تاريخ الأدب العربي القديم، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن، د ط، د ت، ص 97.

وشيع قال تعالى: " **مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ** ". **الروم - 32 -**

فبرز على الساحة السياسية ما يعرف بالشيعة والخوارج وتفرع عنهم فيما بعد فرق وطوائف أخرى.

ومن أشهر الشعراء الذين برزوا في هذه الفترة وكان شعرهم ينبع من عمق السياسة الكميت بن زيد شاعر الزيدية الشيعي المذهب، غير أن تشيعه لم يكن مغاليا فيه فقد عرف بنزعته الدينية الخالصة وتفانيه في مدح آل البيت وبني هاشم قوم الرسول صلى الله عليه وسلم فخصهم بالمدح والثناء في معظم قصائده فتميز شعره السياسي بتنوع الأغراض وغلبة النبرة الخطابية عليه." ويلاحظ الدارس للشعر السياسي روح الخطابة عليه وما يتصل به من أغراض كالمدح والهجاء والفخر، كما يلاحظ اقتران الألفاظ في الكثير من المواضع بصفات تحدد دلالاتها أحيانا أو تأكد إيحاءاتها أحيانا أخرى كما في شعر الكميت بن زيد ".[1]

ولأن السياسة فرضت نفسها في العصر الأموي فمعظم الشعراء إن لم يكن كلهم انساقوا وراءها وراحوا يكرسون شعرهم لخدمتها وما دفعهم لذلك هو إما دافع روحي فطري يتمثل في الحب الكبير الذين يكنونه لقبائلهم وأحزابهم، أو طمعا في الشهرة والتكسب، أما الكميت فقد ربط في شعره الدين بالسياسة مع بعض التحفظ يقول مصطفى فراج: " شعر الكميت إذن شعر ديني، إذ كان منهجه يشبه منهج الشعر السياسي الذي ظهر في العصور التالية له فتشابه المناهج لا يعني اتفاق الهوية ".[2]

من هذا القول نستنتج أن شعر الكميت لا يخضع إلى السياسة بكل نواحيها وضوابطها لأن نزعته دينية محضة يقول أيضا: " هو شعر ديني جعل السياسة وسيلة من وسائل الأداء، ونسبة الأمور إلى غاياتها لا شك أفضل من نسبتها إلى وسائلها ".[3]

مما سبق تستنتج أن الشاعر الكميت لم يكن منغمسا كل الانغماس في السياسة، كما أنه لم يخرج عنها ولم يكن من المعارضين لها، فكان شعره دينيا خالصا واتخذ من السياسة وسيلة فعالة لخدمة توجهه الديني الذي يبقى أساس أفكاره.

---

[1]. المرجع السابق، ص 110.

[2]. سمير مصطفى فراج: شعراء قتلهم شعرهم، مكتبة مدبولي الصغير، د ب، ط 1، 1997، ص 59.

[3]. المرجع نفسه، صفحة نفسها.

لعل الكميت من أصدق شعراء الشيعة فأغلب شعرائهم تميزهم العاطفة الصادقة والروح القومية العالية لأن شعره ينبعث من عقيدة قوية وحب كبير لآل البيت عليهم السلام والقصيدة التي بين أيدينا تكاد تدخل كلها في الشعر السياسي وذلك نظرا للعصبية القبلية التي يكنها لقريش على الرغم مما لقي منهم، غير أن الأبيات التي يتجسد فيها هذا الجانب بشكل كبير نجدها في قوله:

غـــنائم لم تجـــمع ثلاثـــا وأربعا مســـائل بـالإلحاف شتـــى ضروبها
ألا بأبـــي فهر وأمـــي مـــالـــك ولـــو كثرت عنـدي وفـــي ذنوبها
هـــم صفـــوة الله الخيـــار وفيـهم تـــأرث نيـران الهـدى وثقـــوبها
فدى لهـــــم أمـــي وأمـــهم لـــــهم إذا البيض أبدت ما توارى أثـوبها
لهم مشية لا يحدث الحرب غيرها إذا ما نحور القوم بل خضيـــبها[1]

في الأبيات يشيد الشاعر بفضل قريش على سائر الناس ومكانتها بين القبائل الأخرى وما تتميز به من فضائل وميزات تجعلها تحتل مكانة مرموقة في قلوب أهلها، فوصفهم بأنهم صفوة الله وأحباؤه وأنهم أهل للهدى والثقة والخير، وأنهم أفضل وأطهر من يقطن بيت الله وأزكاه، وأنه لم يرى أحسن منهم وسيفديهم بالنفس والنفيس رغم الأخطاء والظلم والعذاب الذي رآه منهم، وهذا نابع عن نزعة سياسية تتجلى في عصبيته لهذه القبيلة وولائه لها وحبه وإخلاصه الكبيرين لعقيدته ومذهبه، لذلك توخى الحذر في كلامه هنا وحرص على وضع قبيلته في المكانة السياسية التي تليق بها فالعصر عصر صراعات وتحزبات وهذا يفرض البحث عن المحاسن التي من شأنها أن تقدم إضافة لدعم حجج الشاعر حول تفوق قبيلته وتميزها. وبتأملنا للأبيات يتبين لنا أنها تنبض بالروح السياسية وذلك من خلال ذكره لخصال متجذرة في هذا القوم رجالا ونساء، إذ ألبسهم ثوب العفة والنزاهة من أجل سد الثغرات أمام سيل نقد الخصوم، فهو يثبت لمعانهم الأخلاقي الذي يؤهلهم لاحتلال المكانة السياسية المرموقة، وبما أن السلطة تستمد قوتها من قوة الجند في ذلك العصر فإن رجال حزب الشاعر كانوا من طينة الشجعان والخبراء بالحرب وما قوله غنائم لم تجمع ثلاثا وأربعا... إلا برهان ناصع على تفوقهم العسكري وبسالتهم في الدفاع عن أحقيتهن في الحكم.

[1]. الكميت بن زيد الأسدي: الديوان، ص 72 ـ 74.

1 ـ الفخر

يمثل الفخر واحدا من أهم الأغراض الشعرية وأشهرها في التراث الشعري العربي القديم فقد كان موضوعا محببا لدى الشعراء نظموا فيه قصائد طويلة افتخروا فيها بالأحساب والأنساب والأمجاد والبطولات، كما اعتزوا بأنفسهم وما يتمتعون به صفات الكرم والسخاء والجود والشجاعة.

والفخر يشبه المدح في مفهومه فهو مدح يغلب عليه طابع الاعتزاز والإعلاء من قدر الشيء وقيمته، يعرف ابن رشيق الفخر بقوله: " والافتخار هو المدح نفسه؛ إلا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه، وكل ما حسن في المدح حسن في الافتخار وكل ما قبح فيه قبح في الافتخار".[1]

فقد حرص الشعراء منذ القديم على ذكر مزايا ومحاسن أقوامهم وأنفسهم محاولين الوصول إلى أعلى مراتب الشرف والعزة، فاستعمل الشعراء الفخر كقناة تمر عبرها الفضائل ومعاني التفوق.

والمتأمل لملحمة الكميت يجدها مفعمة بروح الاعتزاز القبلي والشخصي، فقد حرص شعراء هذا العصر على ذكر مزايا ومحاسن أقوامهم وأنفسهم محاولين نيل أعلى مراتب الشرف والمقام الكريم؛ إذ نجد الشاعر يفتخر في قصيدته هذه بقبيلته التي تعد من أكثر القبائل العربية شرفا ورفعة، فنراه يعدد مناقبها ويتباهى بمحامدها، ضف إلى ذلك كون الملاحم فن أدبي يشكل تاريخا حافلا، يسرد الماضي المجيد ويحفظ ألمع اللحظات في حياة الدول والأقوام، وتجمع بين طياتها كل المقومات التي من شأنها إعلاء الرتب والمقامات لهذا لم يذخر الكميت جهدا في ترصيع الملحمة بجواهر من الفخر المبطن بالسياسة وهذا استجابة لما حصل في عصره وقبله ببعض الوقت " بعد مقتل الخليفة عثمان وما أعقبه من فتن وحروب أهلية متصلة انقسم العرب فيها إلى شيع وأحزاب تتنافس على السلطة وتختلف في فهمها لنظام الحكم".[2]

---

[1] . إبن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقدة، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج 2، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، د ط، د ت، ص 143.

[2]. عبد القادر القط: في الشعر الإسلامي والأموي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د ط، 1987، ص 272.

من خلال اطلاعنا على ملحمة الشاعر، تبين لنا أنها كانت انعكاسا لما حدث في عصر بني أمية من سياسة وطائفية، فقد سيطرت هذه المضامين على القصيدة وكان للفخر نصيب وافر فما ترك الشاعر شيئا يتصل بحزبه وقبيلته غلا وأعطاه حقه من الثناء والاعتزاز، فقد ذكر النسب وصوره بأنه أنقى نسب وافتخر بالإنجازات والبطولات، وذكر القيم الأخلاقية الحسنة ونسبها لقومه، يقول الكميت في الفخر:

ملأتم فجاج الأرض عدلا ورأفة ويعجز عني غير عجز رحيبها[1]

يفتخر الشاعر في هذا البيت بقبيلته فيذكر أهم خصلتين فيها وهما العدل والرأفة وهما خصلتان قلما تجتمعان في موضع واحد إذ يشهد لهم بعدلهم الذي عم أنحاء البلاد وحف كل الناس على الرغم من أنه لم يصبه عدلهم ورأفتهم إلا أن هذا لا ينفي عنهم هاتين الصفتين الجليلتين، ثم يقول مفتخرا بنفسه:

قطعتم لساني عن عدو تنالكم عقاربه تلذاغها وذبيبها [2]

في هذا البيت يفتخر الشاعر بنفسه على أنه لسان قومه والناطق باسمهم وخط دفاعهم الأول الذي يحميهم ويرد على أعدائهم ولا يسمح لأحد المساس بكرامتهم وشرفهم، فاعتبر نفسه خسارة كبيرة لهم بعدم طردوه، لتبقى قريش بعد هذا حمايتها خاصة وأن الأعداء يتحينون الفرصة للهجوم مشبها هجوم الأعداء بلدغ العقارب.

ويقول أيضا في الافتخار بقومه:

هم صفوة الله الخيار وفيهم تأرث نيران الهدى وثقوبها
عليهم ثياب النظر وابنيه مالك وفهر صحاح لم يدنس قشيبها
يزيدهم عجم الكرابة نجدة وعزا إذا العيدان خان صليبها
قدورهم تغلي أمام فنائهم إذا ما التثريا غاب عصرا رقيبها
وبادرها دفء الكنيف ولم يعن على الضيف ذي الصحن المسن حلوبها[3]

في هذه الأبيات كلها جمع الشاعر صفات حميدة وأخلاق كريمة يتمتع بها هذا القوم منها المنزلة الطيبة والمكانة المحمودة والكرامة والجود وشرف النسب ورفعته والأنفة، إذ في البيت الأول نجده يفتخر بهم ويعلي من قدرهم بوصفهم أنهم صفوة الله بمعنى أنهم أقرب

[1]. الكميت بن زيد الأسدي: الديوان، ص 69.

[2]. المصدر نفسه، ص ن.

[3]. المصدر نفسه، ص 78.

الناس الى الله تعالى وأحبهم إليه وأنهم عباده الأخيار الذين اصطفاهم على غيرهم من الناس وخصهم بالمحبة والقبول والرضوان لأنهم تميزوا بالهدى والتقى والثبات وطاعة الله عز وجل والسير على دينه وصراطه المستقيم كل ذلك كان متأصلا فيهم راسخا في أذهانهم متيقنين به وورثوه أبا عن جد.

ويفتخر في البيت الثاني بأصله وهو النظر بن أنس بن مدركة الذي يعود نسبه إليه فيرى بأنهم أطهر وأنقى الأنساب وخيرتها وأن ثوبهم لم يدنس أي لم يشهد لهم أحد بالدنس والقذارة والوسخ ولا بشيء يتنافى مع ما هو متعارف عليه، فمبدأهم سليم وسيرتهم صافية طاهرة لا شوبها شيء.

ففي البيتين الأخيرين يفتخر بمدى غنى وكرم قبيلته وكثرة خيراتها مما يدل على المكانة الاجتماعية والسياسية التي يحضون بها، فهم قوم يميزهم الكرم والسخاء وإكرام الضيف وإغاثة الملهوف فمن يحل دارهم لا يبخلون عنه بشيء ويكرمونه بأعو ما لديهم ويدرون عليه بخيراتهم، وهذا الأمر تفاخر به العرب قديما وبالغوا في ذلك فلم يتوان الشعراء في تضمين قصائدهم غرض الفخر لأن الإنسان بطبيعته يحب التفرد ويؤثر الشعور بالتميز ولو كان هذا الأخير لا يتعدى شعور الشاعر فحسب، فالعمل الأدبي هو محاولة لإثبات الذات أولا ثم إيراد الفكر والوجدان ثانيا، لهذا لم تخل ملحمة الكميت من معاني الفخر والشعور بالكبرياء والشموخ، وانتماء الشاعر للقبيلة يعد بدوره فخرا لها.

2 ـ الحماسة

تمثل الحماسة جوهر الملاحم، فالشاعر غالبا ما يبث الروح القتالية والفخر بالأمجاد الحربية التي حققها أبطال قومه. ولعل الملاحم كانت وسيلة لشحذ الهمم وسجلا يحفظ كل منجز على أرض المعركة، وشعر الحماسة هو شعر الحروب يصور المعارك يشيد بالأبطال ويتوعد لأعداء، كما أنه يعبر عن فخر الشاعر ببطولاته وبطولات قومه الذين كان لهم أثر عظيم في التاريخ، كما أن الحماسة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالفخر وتلازمه في جميع الأحوال "نقصد بالحماسة التعبير عن عمق الشجاعة والجرأة لدى الشاعر ونقصد بالفخر ذكر الصفات التي يتمايز بها الناس ضمن أعراف معينة".[1]

[1]. حسين علي الهنداوي: أغراض الشعر في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي، جريدة دنيا الوطن، ثقافة، 2006.

فقد كان لقصائد الحماسة دور كبير في إثارة مشاعر والمحاربين وتحفيزهم وبث الروح القتالية فيهم، وشكلت مادة خصبة للشعراء العرب من حيث حروبهم وفضائلهم وأنسابهم ووقائعهم.

عندما نذكر الملحمة يستلزم بالضرورة الحديث عن الحماسة، وإذا تأملنا شعر الكميت نجده يحتوي على مضامين حماسية كثيرة نظرا للظروف السياسية والاجتماعية التي عاشها ومر بها في حياته، والمتفحص لملحمته يجدها تفيض حماسا واندفاعا وهذا يعود إلى طبيعة العصر الذي قيلت فيه وإلى عقلية الكميت الهجومية التي لا تتوانى في نقد الخصوم ومساندة الحزب الذي ينتمي له.

لمسنا أثر الحماس والتوهج الحربي والعاطفي في مواقع عديدة من الملحمة، فنجد معاني الشهامة والمروءة والفروسية والأنفة التي صيغت بأسلوب جديد مرصع بمعاني الرجولة العربية فقال في هذا الشأن:

لهم مشية لا يحدث الحرب غيرها إذا ما نــحور القوم بل خضيــبها

بمشيتهم طالت قــصار سيوفهم حفاظا إذا ما الحرب شب شبوبها[1]

أراد الشاعر في هذه الأبيات أن يجسد الوقع الذي يتركه المحارب في نفس عدوه، فكلما تقدم نحوه واقتربت بداية المعركة يزداد الخصوم فزعا واضطرابا، فالشاعر يصور أبطال المعركة وكيف يكون وقع خطاهم، فعندما تتقد نار الحرب تجدهم أبطال مغاوير وقدمين إليها حاملين السيوف شجعان لا يهابون شيئا فقط يريدون التصدي للعدو والفتك به، وفي قوله بمشيتهم طالت قصار سيوفهم كناية عن شجاعتهم وجرأتهم وبسالتهم.

وهذا يدفعنا إلى القول أن الكميت تناول هذا الجانب من ناحية نفسية بعيدة عن الإشكال، فغاص في أغوار نفس المحارب وأوضح كيفية تأثره بكل تفاصيل الحرب، ولا يمكن أن نخفي تأثر الكميت بالجاهليين لأن: " الشعر السياسي في ذلك العصر قد اختلط بالعصبيات القبلية ووقائع العرب الجاهلية والمدح والهجاء، فقد استمد كثيرا من سماته الفنية في هذا المجال من تراث الشعراء الجاهليين الذي ظل مسيطرا على تحول الشعراء الأمويين[2]."

---

[1]. الكميت بن زيد الأسدي: الديوان، ص 74.

[2]. عبد القادر القط: في الشعر الإسلامي والأموي، ص 286.

والملحمة باعتبارها وصف للبطولة فإنها استمدت نهجها من الشعر الجاهلي، نظرا لأن الشاعر يسقط شعوره وأفكاره على أعماله في غالب الأحيان. وبما أن الحماسة تتداخل مع الفخر وتلازمه فقد وظف الشاعر الغرضين في ثوب واحد مزاوجا بينهما يقول:

لهـــاميم أشراف بهـاليـــل ســـادة إذا السنة الشهباء عم سغوبها

مغاوير أبطال مساعير في الوغى إذا الخيل لم تثبت وفر أريـبها [1]

الشاعر هنا جمع بين الفخر والحماسة تحت غطاء واحد وهو التغني بالشهامة والفروسية المتفرعين عن وصف البطولات؛ إذ تخطى الشاعر التعدد التقليدي للخصال التي تخص جانبا واحدا إلى المزج بين عدة جوانب أثناء تفصيل الكلام الذي يتمحور حول المحارب عامة، فقوله(لهاميم، بهاليل، مغاوير) كلها صفات يمدح بها المقاتلين وأبطال الحرب على أنهم جياد أعزاء أبيين جامعن لكل صفات الخير والشجاعة والجود والكرم حتى في وقت السغوب أو الجوع الشديد الذي ينتج عن الجذب فالأرض التي تكثر فيها المعارك تجدها قاحلة لا ترى فيها خضرة لأن الأبطال يكثرون فيها المطي، وفي وقت الحرب تجدهم مغاوير يكثرون من شن الغارات وتدبير المكائد للعدو.

إن الحماسة بوجه عام تهدف إلى إحياء الروح القتالية وإفحامها بالفعالية اللازمة التي يحتاجها المحارب، وعندما يتحدث الشاعر لديه الحرية في صياغتها ولديه عدة زوايا للكلام في هذا الموضوع، فهناك من يستغل الإنجازات الحربية، وهناك من يستغل شرف النسب وعراقته لإضفاء قوة الحماس على النفوس. ولعل للدافع النفسي الخاص بالشاعر رأي في هذا المجال، فقد تؤثر الأحداث الماضية في نفسية الشاعر ويترجم ذلك الأثر في أعماله من ذلك أن" الكميت بن زيد ولد أيام مقتل الحسين بن علي ـ رضي الله عنهما ـ فرضع صغيرا من صدر الفجيعة الكبرى" [2] فالأحداث الهامة التي يعيشها الشاعر لها نفوذ كبير في الإنتاج الشعري نظرا للندوب النفسية التي تتركها في أعماق النفس .

نخلص إلى القول بأن الحماسة غرض من أغراض الشعر العربي تقترن بمعاني البطولة والحرب خاصة ومعاني البسالة والشجاعة والإقدام، وهي غرض قديم جدا ظهر مع ظهور الشعر العربي في طوره الجاهلي وتداخل مع عدة أغراض أخرى كالفخر والرثاء، واستعملها

---

[1]. الكميت بن زيد الأسدي: الديوان، ص 74 ـ 75.

[2]. سمير مصطفى فراج: شعراء قتلهم شعرهم، ص 47.

الشاعر في هذه القصيدة ليعكس انفعالاته إزاء الواقع القتالي ووقائع الحروب وكل ما يتعلق بها من لوازم، وكذا ليثبت منزلة قومه ومكانتهم القوية وبأسهم الشديد على من يعاديهم.

ثانيا- المضامين التاريخية

يشكل التاريخ عنصرا هاما لكل علم من العلوم؛ إذ يمثل القاعدة الأساس التي ينطلق منها كل مجال من مجالات المعرفة الإنسانية، فأي علم قبل أن تضبط مصطلحاته وقواعده وعناصره لابد أن يكون له بدايات وأصول ومنطلقات أو ما يسمى بالخلفية التاريخية التي ينبني من خلالها وتوضح صور نشأته وتكونه، والأدب العربي كما غيره من فروع العلم والمعرفة له تاريخه الحافل بالأحداث والوقائع التاريخية التي كان لها حضور بارز في منظوم ومنثور الأدباء العرب القدماء وغيرهم من الأجناس الأخرى، وهذه الأحداث تختلف باختلاف العصور والشعراء، حسب الظروف والمستجدات الواردة في كل زمن من الأزمنة.

ولعل أبرز الجوانب التاريخية التي تضمنتها قصيدة الكميت وحفلت بها هي:

1 ـ الأنساب:

يعد علم الأنساب واحد من أشهر فروع علم التاريخ وأبرزها يقوم على دراسة الأعراق والانتماءات القبلية وصلات الدم والقرابة، كما أنه من أهم المجالات التي عني بها العرب قديما واشتغلوا عليها بكثرة وأعطوها أهمية بالغة وحرصا شديدا.

وقد تفانى العرب قديما في الدفاع عن قبائلهم وعملوا على حفظ أنسابهم من الضياع والتشتت خاصة في العصر الجاهلي عهد الحمية والعصبية القبلية، فكان الفرد يكرس حياته لخدمة المجتمع والدفاع عنه وفي مقابل هذا يسعى المجتمع إلى نصرة أفراده وحمايتهم فالقبيلة عندهم تكوين سياسي اجتماعي يقوم على الوحدة والتماسك من ذلك قول ابن خلدون: "صلة الرحم طبيعي في البشر، إلا في الأقل، ومن صلتها النصرة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم مهلكة، فإن القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العداء عليه، ويود لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك".[1]

ومع مجيء الإسلام وانتشار مبادئه وتعاليمه في الأمصار التي وصل إليها، لم نلاحظ زوال الأنساب لأن الدين الإسلامي لم ينه عنها ولم ينبذها أو ينفر منها بل على عكس ذلك قام بتعزيزها وتوطيدها، حتى إن القرآن الكريم تحدث في آيات كثيرة عن النسب والقرابة

[1]. ابن خلدون: المقدمة، ص 256.

والأرحام فدعا إلى التمسك بهم والإحسان إليهم والتعاطف معهم ونهى عن إنكارهم أو الجفاء عليهم

يقول تعالى: " **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا** " الفرقان الآية ـ54

وقوله أيضا: " **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**" الشعراء الآية ـ214

وقد كان لهذا العلم مكانة هامة لدى الشعراء العرب منذ أقدم عصورهم فحظي بنصيب وافر في قصائد دواوينهم ومن الشعراء الذين عنوا بهذا الجانب وظفوه بكثرة في شعرهم الكميت بن زيد الأسدي الشاعر الذي كان من العلماء بالأخبار والأنساب والوقائع، وبهذا استعمل في شعره كثيرا أسماء القبائل والأماكن والأنساب العربية المختلفة، وخاصة القبائل التي تربط بينه وبينها علاقات وصداقات وقرابات يقول الحموي: " ما عرف النساب أنساب العرب على حقيقته حتى قال الكميت النزاريات فأظهر بها علما كثيرا، ولقد نظرت في شعره فما رأيت أحدا أعلم منه بالعرب وأيامها".[1]

كان الكميت شاعر مضر ولسانها الناطق باسمها، والمدافع عنها في كل الأحوال يكن تعصبا شديدا للقحطانيين، متشيع لآل البيت وقبيلة قريش عموما وفي ولائه لها لقي ظلما وأذى كبيرا من قبل أعدائها " وقد عرف الكميت بتشدده للمضرية وهجائه لأهل اليمن وذلك ردا على شاعر اسمه حكيم بن عياش الكلبي كان يهجوا بني هاشم والإمام علي بن أبي طالب على وجه الخصوص، فضلا عن هجاء بني أسد قوم الكميت ".[2]

فلم يكن الكميت ليقف موقف المتفرج على من يهجو بني هاشم وآل البيت عليهم السلام وهو الذي يعتز بشرفهم ونسبهم، يولي لهم حبا كبيرا، وينتصر لهم ضد أعدائهم، ويرفع من قدرهم، ويرى أنهم حزبه وشيعته وأن حبهم واجب عليه وعلى كل الناس.

الدارس لقصيدة الكميت يجدها حافلة بذكر الأنساب والقبائل والانتماءات التي يعتز بها الشاعر؛ إذ نلمس ما يفوق العشر الأبيات التي تضمنت هذا الجانب التاريخي الواسع، ومن

---

[1]ـ الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله): معجم الأدباء، تح: إحسان عباس، ج 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ، ط 1، 1963، ص 410.

[2]ـ سامي يوسف أبوزيد: الأدب الإسلامي والأموي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط 1، 2012، ص 177.

ذلك قوله في قريش بعد ما لقي أذى واضطهاد وعداوة مقابل ما منحها من ثقة وحماية واعتزاز بالانتماء:

رمتني بالآفات من كل جانب والذربيا مـــرد فهر وشيـــبها
أفي كل أرض جئتها أنا كائن لخوف بني فهر كأني غريـبها
بني ابنة مر أين مرة وعنكم وعنا التي شعبا يصير شعوبـها
أين ابنها عنا وعنكم و بعلـها خزيمة والأرحـــام وعثا جـؤوبها
لنا الرحم الدنيا وللناس عندكم سجـــال رغيبات اللهى وذنـوبـها[1]

في هذه الأبيات أشار الشاعر إلى عددا من الأنساب مثل قريش ومن يتبعها كمر: أبي تميم بن أدد بن إلياس بن مضر الذي يعود أصله إليها، وذكر الأرحام وهي القبائل الذي كان يلجأ لها وهو يخاطب قريش قبيلته ورهطه الذين رموه بالظلم والعدوان وقابلوه بالإساءة والإهانة والجفاء وصدوهم عنهم وحرموه من ودهم وخيراتهم، فبات منهم في خطيطة وزلل وأصبح عنهم بعيدا مهمشا كأنه غريب في أرضهم فوجه لهم خطابا يناشدهم فيه للاعتراف بخطئهم في حقه ويذكرهم بأيام الصفاء الرخاء الذي كان بينهم والروابط الوطيدة التي تجمعهم، وهو الذي كان يرى فيهم وطنا وملاذا وملجأ له وعصمته، وقبيلته الأم التي نشأ فيها وتقاسم معها حلو ومر الحياة، فإذا بها تزجره وتنهره وتنكر علاقتها بها، وهو بذكره لكل هذه الأنساب يريد الإشارة إلى عمق العلاقة وقوة الصلة بهم وينبههم إلى أن قطع الأرحام مأثم شديد وذنب كبير.

وقال أيضا في ذكر الأنساب:

لتـــتـــركنـتا قرب لـؤي بـــن غـالب كسـامة إذ أوردت وأودى عتيـبها
فقـائبة مـــا نحـــن يـــوما وأنـــتم بني عبد شمس أن تفـيء وقوبـها
أطيـب نفسـي عن لؤي بـن غـالب وهيهات مني ثم هيهات طيـــبـها
إذا سمت نفسي عن بني النظر سلوة عصتني فلم يسلس لطوع جنيـبها
ألا بـــأبي فهـــر وأمـــي مـــالـك ولو كثرت عـندي وفي ذنـــوبها[2]

[1]. أبي زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، ص 786 ـ 787.
[2]. المصدر نفسه، ص790 ـ 793.

وفي هذه الأبيات ذكر الشاعر من الأنساب بني غالب، بني عبد شمس، بني النظر كما ذكر قصة كسامة بن لؤي مع قومه وفراقه لهم بسبب موقفهم معه، وهذا لإغراء قريش ودفعها إلى التراجع عما فعلته به ويعاتبهم على تحولهم بنسبهم إلى اليمن، ويدعوهم إلى العودة لأصلهم، وإن لم ينتهوا عن فعلهم فسوف يتخذ موقفا حاسما ويفارقهم كفراق الفرخ بيضته، فالشاعر إذا يرغب في إصلاح حال قومه وهدايتهم إلى السداد والرشاد وإصلاح علاقاته بهم وتحسينها وتطويرها، فهو يفتخر ويعتز بهذا النسب فمهما كلف نفسه مشقة النسيان وحاول الابتعاد عنهم إلا أن هناك شيء يهز في نفسه الحنين ويجذبه إلى جذوره وأصوله فلا يأبى إلا العودة إليهم، وهو في رأيه مجبر على حفظ هذا النسب وتقديس هذه الصلة التي تجمعه بهم وهو مستعد للتضحية بأغلى ما يملك في سبيل ضمان الاستمرارية والديمومة للعلاقة بتغاضيه عن كل ما من شأنه أن يعرقل ويقف في وجهه من عقبات وعراقيل قد تؤدي إلى التفكك والانحلال العرقي بينه وبين قبيلته فتؤثر سلبا على هذا النسب الطاهر الشريف.

ثالثا- المضامين الفكرية

غالبا ما نجد الجانب الفكري من الشعر يتضمن عددا من الحكم والمواعظ الثرية والتوجه الديني والعقائدي للشاعر؛ الشق الأول الذي كان موجودا منذ القديم في العصر الجاهلي تحديدا وقبله بقليل، أما الشق الثاني فقد ظهر ونشط في عصر صدر الإسلام وما بعده، وما الكميت بن زيد إلا نموذج لهؤلاء الذين كرسوا شعرهم لخدمة الدين، فكان نتاجه الشعري يحمل من الحكم والمواعظ والعبر ما يجعله يبرز فكره ونزعته الدينية القوية، وجعل لكل هذا نصيبا ليس بالهين في ملحمته.

1 - الحكم والمواعظ

الحكمة مصطلح ضارب بجذوره في القدم فهي وليدة العقل تصدر عن إنسان عاقل محنك ذو خبرة بالحياة يدرك قيمة الأشياء ويحكم التصرف في الأمور، كما أن الحكم من الأقوال المأثورة التي تبقى راسخة في الذهن البشري وتتوارث عبر الأجيال، وهي عصارة لتجارب وخبرات الأمم في الحياة.

ويعرفها الزيات بقوله: " قول رائع موافق للحق سالم من الحشو، وهي ثمرة الحنكة وخلاصة التجربة ".[1]

وقد ورد لفظ الحكمة في القرآن الكريم عشرات المرات وتكرر بصيغ ودلالات مختلفة، فقصد بها القرآن العلم النافع وقصد بها النبوة وقصد بها القرآن الكريم... وغير ذلك من المقاصد ومن ذلك قوله تعالى: " **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ** " البقرة ـ 269 ـ

كما وردت الحكمة بلفظها ومعناها في أحاديث كثيرة للرسول صل الله عليه وسلم منها قوله: " لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها ".[2]

والمقتفي لأثر الشعر العربي منذ العصر الجاهلي فإنه يجد الكثير من الأشعار التي تنبض بالحكم والمواعظ والعبر، من ذلك قول زهير:

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم [3]

ويندرج تحت شعر الحكمة المواعظ والعبر، ذلك لأن الحكمة في أصلها تتضمن عبرة أو موعظة عن فكرة كونية أو تجربة إنسانية ويعرف الشريف الجرجاني الموعظة بقوله: "والموعظة هي التي تلين القلوب القاسية وتدمع العيون الجامدة وتصلح الأعمال الفاسدة ".[4]

وبالعودة إلى العصر الأموي وإلى ملحمة الكميت تحديدا فإننا نجد من الحكمة والموعظة والعبرة سمة بارزة فيها؛ إذ تناولهم في مواضع عديدة من هذه القصيدة ولا سيما في مطلعها وذلك سيرا على طبيعة وعقلية الشعراء في ذلك العصر، عصر بداية الانفتاح واستقلال العقول، حيث نجد الأبيات الأولى من القصيدة تتضمن حكم وعبر ومواعظ ناتجة عن التأمل والتدبر الكبيرين للحياة والأيام والخبرات الناتجة عن طول العيش فيها وذلك في قوله:

ألا لا أرى الأيام يقضى عجيبها بطول ولا الأحداث تفنى خطـوبها

---

[1]. أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، د ط، د ت، ص 18.

[2]. البخاري (عبد الله بن إسماعيل): صحيح البخاري، مراجعة وضبط وفهرسة: الشيخ محمد علي القطب والشيخ هشام البخاري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د ط،2004، ص 32.

[3]. الزوزني: شرح المعلقات السبع، ص 86.

[4]. الجرجاني (علي بن محمد السيد الشريف): معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، د ط، 2004، ص 199.

ولا عبـــر الأيـام يعرف بعضها ببعض مـن الأقـوام إلا لبيـبها
ولـم أر قـول المرء إلا كنـبله بـــه له محـرومـها ومصيـــبها
وما غيب الأقـوام مثل عقـولهم ولا مثـلها كسبـا أفـــاد كسوبـها
وما غيب الأقوام عن مثل خطـة تغيـب عنها يـوم قيـلت أريـبها [1]

المتأمل لهذه الأبيات يجدها ناتجة عن طول النظر والتأمل والتدبر في الحياة وأحداثها المتعاقبة والمتواصلة التي لا تفنى ولا تنفذ، فبقدر ما يعيش الإنسان بقدر ما يتعلم ويفهم حقيقة الأشياء ويدرك الأمور الغامضة التي تخفى على أي إنسان آخر، فالعقل هو أساس الحكمة وأساس المعرفة الإدراك، حيث نلاحظ أن الشاعر افتتح القصيدة بالتعجب من الدنيا والأيام التي لا تزول مشاكلها والأمور العجيبة التي تحدث فيها بطول العيش ولا بكثرة الأيام، وليس كل الناس بإمكانهم إدراك قيمة الحياة وإحكام الأمور وحسن التصرف والتدقيق في تفاصيل الأشياء؛ إذ أن الإنسان العاقل وحده من يستطيع التأمل بتشغيل عقله واستغلاله في أمور نفعية من خلال تدبره للحياة ومعرفة الحقائق وتمييز الصحيح من الخطأ ومن ثم يقدم عبر ومواعظ يستفيد منها غيره، وفي البيت الثالث تشبيه واضح حيث استنتج مما رآه أن كلام المرء الذي يخرجه من فمه مثل السهم قد يصيب وقد يخطئ فإن قال حسنا فهو من طيبه وإن قال سيئا فهو من جهله وقبحه، ومن العبر التي استنتجها أن العقل هو أساس صلاح الإفراد والمجتمعات وهو الفائدة والمكسب الحقيقي الذي يكتسبه الإنسان في الحياة وبه يعلوا وينزل مستواه.

وقال أيضا:

وتفنيـد قول المـــرء شيـــن لرأيـــه وزينة أخـــلاق الرجال وظـوبـــها
وأجهل جهل القوم ما في عدوهـــم وأقبـح أخـــلاق الرجـال عزيـــبها
رأيت ثيـــاب الحلـم وهـــي مكـنة لذي الحلم يعرى وهو كاس سليبـها
ولم أر بـاب الشـــر سهـلا لأهـله ولا طرق المعـروف وعـثا كثيـبها
وأكـثر مـتأتى المرء من مطمـأنه وأكـــثر أسبـــاب الرجـال كذوبـها
ولم أجـــد العيـــدان أقـذاء أعيـن ولكـــنما أقـــذاؤها مـــا ينـــوبـها

[1]. الكميت بن زيد الأسدي: الديوان، ص 65.

من الضيم أو أن يركب القوم قومهم ردافـــا مع الأعداء ألبـــا ألــوبها[1]

والمتأمل لكل هذه الأبيات يجدها تنبض بروح الحكمة والموعظة الحسنة لأنها خلاصة تجربة بالحياة ونلمس ذلك من خلال تكرار كلمة (أرى، رأيت، لم أر)، وتوظيف الجمل المنفية وصيغ التعجب مثل:(لم أجد، لم أر، ما غيب، أجهل، أقبح، أكثر...) كل هدا دلالة على أن الشاعر له تجربة كبيرة بالحياة لأن عيشه الطويل وخبراته الكثيرة جعلته يستنتج جملة من المبادئ والأحكام بناءا على ما رآه وعاشه ولاحظه في الناس من أخلاق حسنة وأخرى قبيحة، ومن أهم النقاط التي استنتجها الشاعر من تجربته في الحياة هي أن الثبات على الرأي وعدم التراجع فيه وتجسيد القول أهم ما يميز أخلاق الرجال، كما استخلص بأن باب الشر وباب الخير ليس بالسهل قطعهما، فالشر صعب لأن عواقبه وخيمة والخير صعب الوصول إليه لكن نهايته سعيدة وهو الأنسب للعيش الهنيء في الحياة، وأن أحسن ما يأتي الإنسان من خير يكون وقت راحته وطمأنينته وصفاء نفسه واستقراره وصدقه، وأن أكثر ما يؤلم الإنسان هو خيانة الأقارب وتحالفهم ضده والظلم الذي يلقاه الإنسان من أقرب الناس إليه خاصة إذا تحالفوا واجتمعوا وتآمروا مع أعدائك للإطاحة به وهو كل ما يسعى إليه خدمة مصالحهم وتحقيق الخير لهم.

كل هذا نستنتج أن الشاعر اتخذ من الحكمة والموعظة غرضا عكس فيه التجارب الذي عايشها في حياتها وترجم نظرته للأخلاق والإنسان وعبر عن وجهة نظره في الدنيا والجمال والقبح في الأخلاق وغير ذلك من القضايا التي أثارت انتباهه واستلهم منها خبراته في الحياة والأيام.

2 ـ الفكر الشيعي

إن أكثر ما ميز الشاعر الكميت هو نزعته الدينية الواضحة في أغلب قصائده التي تمثلت في المذهب الشيعي المحض، فالفتنة التي حدثت بين المسلمين عند مقتل الخليفة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أدت إلى نشوء أحزاب سياسية حاول كل منها تكريس حقه في الخلافة فتصارعت أحزاب الزبيريين والخوارج لأمويين والشيعة، وبما أن الشيعة هم أشياع علي والمنادون ببقاء الخلافة في بيت الهاشميين فقد حظيت بمساندة العديد من الشعراء جلهم ينتمي إلى القبائل الهاشمية وفي مقدمتهم الكميت هذا الأخير الذي أبدى حبا

[1]. المصدر السابق، ص 66.

لا نظير له لبني هاشم وقريش عموما ودافع عنها حتى الرمق الأخير" كانت قلوب الشيعة تمتلئ بالحب لآل البيت، حبا يملك على نفوسهم أهواءها وعواطفها وإحساساتها ومشاعرها وقد عبر الشعراء عن هذه المحبة العميقة".[1]

وقد أثبت الكميت في أكثر من موقع داخل القصيدة بأن أصوله وانتماءه يرجع إلى قريش وأنه يفتخر بهذا الانتماء، ومن الأبيات التي تدل على الفكر الشيعي للشاعر الارتباط الوثيق بقبيلته وحبه الكبير لها واعتزازه بها ودفاعه عنها وحديثه عنها بكل ما هو حسن وخير فيها رغم ما لقيه منه من المعاطب والمظالم قوله:

تهتكها البيض الشغـاميم حـسرة يهيج اكـتئاب الجن وهنـا كئيبها
بنـــات نبـــي الله وابـــن نبيـــه يكـاد يزيـل الراســيات نحيــبها
قـــواطن بيت الله هن حمـــامه بزمـزم يـــوم الورد يلـقى مهيبها
ألا بـــأبي فهر وأمـــي مـــالك ولو كثرت عـندي وفي ذنـــوبها
فـــدى لهم أمـــي وأمهم لهـــم إذا البيض أبدت ما توارى أتوبها[2]

أكثر الشاعر في الأبيات من الحديث عن آل البيت وقبيلة قريش التي هي من أشرف قبائل العرب كما أنها موطن الرسول صلى الله عليه وسلم ومنشأه هو وآل البيت عليهم السلام فقال عنهم: قواطن بيت الله، بمعنى أنهم هم الذين يسكنون ويستوطنون بيت الله الحرام في مكة، كما يظهر تشيعه لهم في كثرة الاعتزاز بهم ومدحهم بمكارم الأخلاق وكل الصفات المحمودة حرصا منه على إعلاء شأنهم ومكانتهم بين القبائل الأخرى والرد على أعدائهم الذين يهاجمونهم ويحطون من شأنهم، فسار على درب نظرائه الشيعيين الذين تناولوا كل ما يخص الفكر الشيعي بكل حيثياته، غير أن الكميت ركز على أحد أهم جوانب الشيعة والمتمثلة في أصول المجتمع الشيعي وأخلاقهم، بهدف إعطاء صورة مشرقة عنهم ومحاولا التأكيد على أنه مستعد للتضحية بأغلى ما يملك من أجلهم وهذه هي عقلية الشيعي الغيور على مذهبه، لذلك أكثر من تقديم وعود بالتضحية من خلال قوله (ألا بأبي فهر وأمي مالك)، وقوله (فدى لهم أمي) فهاتين العبارتين تدلان على تعصبه الشديد لشيعته.

[1]. عادل جابر صالح وشفيق محمد الرقب: تاريخ الأدب العربي القديم، دار صفاء للنشر والتوزيع،عمان، الأردن، ط 1، 2010، ص 160.

[2]. الكميت بن زيد الأسدي: الديوان، ص 72 ـ 74.

رابعا- المضامين الجغرافية(الطبيعية)

الجغرافيا مصطلح يقصد به كل ما يتعلق بالإطار أو الحيز المكاني، وما يدخل في نطاق الطبيعة والكون من تضاريس وظواهر كونية، فمن حيث كونها علما فهي تدرس الخصائص الطبيعية والبشرية في الحياة، وهي من الناحية الأدبية ترتبط بالبيئة التي ينطلق منها الأديب أو الشاعر في إصدار أعماله، وقد كان للبيئة الجغرافية العربية قديما حضورا بارزا لدى الشعراء الجاهليين وغيرهم من شعراء العصور التالية، وذلك نتيجة للاحتكاك المباشر بين الإنسان وبيئته التي كان يعيش فيها آنذاك، هذا ما أدى إلى التفات الشاعر إلى عالم الطبيعة وتفاعله معه وتوظيف مظاهر كثيرة منه في شعره، فكثرت القصائد الشعرية القديمة التي تضمنت أوصاف وألفاظ ودلالات ذات نزعة جغرافية طبيعية، واضحة المعاني.

ومما قيل في الشاعر الجاهلي أنه:" في تشابيهه وكناياته واستعاراته دلالات بينة على حياته وطبيعة أرضه، فأكثرها مستمد من الصحراء نباتها وحيوانها، ومن مرافقها المحدودة ومعيشة أهلها، ومن عاداتهم وعقائدهم وأساطيرهم".[1]

وكان للطبيعة في العصر الأموي نصيبها أيضا حيث كان الأمويون يوردون في قصائدهم كل ما يتعلق بالناجية الجغرافية معتمدين على الوصف غرضا أساسا فوصف الأمويون كل ما وقع تحت بصرهم وجال في خاطرهم ف " وصفوا البيئة الجاهلية وتحدثوا عن الأطلال وتوقفوا عند الإبل ووحش القفار واستعاروا لتلك الأوصاف معاني الجاهليين وصورهم".[2]

ونقف على هذا المضمون في هذا العصر عند الشاعر الكميت في قصيدته التي هي قيد الدراسة والبحث، الذي نجده أكثر فيها من توظيف الجانب الجغرافي الطبيعي في عدد كبير من الأبيات التي تضمنت المكان وعناصر البيئة والمحيط، والمواقع الجغرافية من جبال وأراض ومغارات ومدن وقرى...وغيرها، من ذلك قوله في ذكر عدد من أسماء الجبال والمرتفعات والمنخفضات الموجودة بأرض مكة الطاهرة:

ولا عن صفـاة النيق زلت بنـاعل ترامى بـه أطوادهـا ولهـوبها
ومرســـى حـراء والأبـاطح كـــلها وحيث التقت أعلام ثور ولوبها

[1]. بطرس البستاني: أدباء العرب في الجاهلية، ص 43.

[2]. حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي القديم، ص 476.

بنـــات نـــبي اللـه وابـــن نبيـــه يكـاد يزيـــل الراسيات نحيبها
بسفح أبـــي قـابوس يندبن هـــالكا يخفض ذات الولد عنها وقوبـها
ولو كان تخليدا لذي النصح نصحه لملئـــت دنيا ما أقام عسيـــبها [1]

ففي الأبيات المذكورة نلاحظ إشارات عديدة لأسماء الجبال والمرتفعات مثل: النيق، وهو أعلى الجبل أو قمته، اللهوب الذي يدل على المهواة أو المنزلق بين الجبلين، الصفاة التي تعني الصخرة الملساء، كما ذكر غار حراء وهو الغار المشهور الذي كان يختبئ فيه الرسول صلى الله عليه وسلم من المشركين الذين يتآمرون لقتله، وهناك كان ينزل عليه الوحي، أيضا ذكر البطحاء وهي اسم من أسماء مكة المكرمة وسميت كذلك لانبطاح أرضها، وذكر ثور جبل بمكة، الأعلام وهي الأحجار الكبيرة، الراسيات التي ترمز إلى الجبال الشمخ الثوابت أيضا أبي قابوس، العسيب وهو جبل بعالية نجد يضرب به المثل في الثبات على الرأي وعدم التراجع عن القرار يقال:" لا أفعل كذا ما أقام عسيب".

كل هذه الأسماء التي ذكرها الشاعر تخص مواقع جغرافية تحظ بها مكة المكرمة بلاد الشاعر والأرض الطيبة لقبيلة قريش أجود قبائل العرب، وأرض الرسول صلى الله عليه وسلم وكل المسلمين والعرب أجمعين، وهذه الأماكن ترمز إلى الموقع الجغرافي المهم والمكانة الطبيعية الخلابة التي تمتلكها هذه البلاد العظيمة.

يقول أيضا في ذكر المدن والقرى والأماكن العامة والموارد الطبيعية:

ومـــورد خيـلنا عكاظ كـــأنها بواكيـــر طير بات قيا عـــدوها
وقبر أبي داوود حيث تشـققت عليه المآلي عصيبها وسبيـــبها
قـــواطن بيت الله هن حمـامـه بزمـــزم يوم الورد يلقى مهيـــبها
فلما نفيـــتم عن تهـــامة كـــلها بيـــوتا هي الأدنى إليكم نسيبها
فرغتم لنا في كل شرق ومغرب بنا ولـــنا أظفـاركـــم وعلوبـــها
ملأتم فجاج الأرض عدلا ورأفة ويعجز عني غير عجز رحيبها [2]

من الأماكن التي ذكرها أيضا: عكاظ، قبر ابي داوود، بيت الله (الكعبة)، زمزم تهامة شرق، غرب، فجاج الأرض، كل الألفاظ تدل على أماكن موجود قلب مكة، وقد استعملها

[1]. أبو زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، ص 784 ـ 792.
[2]. المصدر نفسه، ص 790 ـ 791.

الشاعر ووظفها في القصيدة ليصف امتداد واتساع وعراقة المدينة وما تتمتع به تضاريس خلابة تميزها ولا توجد في منطقة غيرها خاصة أن أهلها هم صفوة الله وخيرة العرب كلهم أشهر القبائل العربية وأقدمها وأشرفها، وكل هذا يرمز إلى مكانتها الحضارية والأدبية والدينية. فذكر عكاظ المدينة المعروفة بسوقها الشهير الذي يجتمع فيه الشعراء كل عام من كل البقاع لعرض أشعارهم على الحكام والتبارز بها، كما أشار إلى بيت الله وهو عروس مكة وأطهر بقعة على وجه الأرض ومقصد المسلمين كل عام لأداء فريضة الحج، ومحور الكرة الأرضية ووسطها، وذكر زمزم هذا المنبع المائي الطبيعي الذي انفجر لنبي الله إسماعيل وأمه بعد أن بلغ بهما العطش ذروتة وهم في صحراء قاحلة، فكان من رحمة الله تعالى بهما أن من عليهما بهذا المغتسل البارد والشراب السائغ، وبقي منبعا حيا يشرب منه الناس في كل حين إلى يومنا هذا، وكأن الشاعر يفتخر بهذه المظاهر الطبيعية الربانية المصدر التي استقرت على أرضه الطاهرة الشريفة وأهلها الأخيار.

كما أن إيراد كل هذه المواقع والأماكن والثروات الطبيعية إشارة إلى عظمة الخالق سبحانه وتعالى من جهة، ثم عظمة المنطقة واتساعها وامتدادها الجغرافي الشاسع، والهدف من توظيف الطبيعة والمكان هو تحديد العلاقات المختلفة بين الشاعر وبيئته.

خامسا- المضامين الاجتماعية

مثل المجتمع وطن الشاعر بالمفهوم القديم، وكانت القبيلة بحدودها الاجتماعية هي القلعة الحصينة التي يحتمي بها وفيها، فدافع عنها وضحى من أجلها وتحدث باسمها وعمل على الإعلاء من شأنها، لهذا كانت الأحوال الاجتماعية للشاعر غالبا ما تعكس الأحوال الاجتماعية للقبيلة، سواء من ناحية شرف النسب و من ناحية الفقر والغنى الأمر الذي يعكس نظرة القبائل لبعضها البعض.

وقد امتلأت قصائد الشعراء بمضامين اجتماعية عديدة ومتنوعة شرحت أفراد هذا المجتمع وفصلت القول فيه. ومنها قصيدة الكميت بن زيد صاحب التاريخ الاجتماعي الحافل الذي بدا جليا بكل تفاصيله فيها، وأبرز مضمون اجتماعي تناولته القصيدة هو:

1 ـ العصبية القبلية

نستطيع الجزم أنه لا يمكن إيجاد شاعر لم يتناول العصبية القبلية أو لم يشعر بها، فكل الشعراء العرب تقريبا أنتابهم هذا الشعور القومي القوي وملؤا به قصائدهم و أولوه كل العناية

وذلك تماشيا مع الظروف السياسية التي عاشت فيها القبائل العربية من تناحر واستجابة كذلك للوضع الاقتصادي والعصبية القبلية في مفهومها " أن يدعوا الرجل نصرة عصبيته والتآلب معهم على من يناوبهم ظالمين كانوا أومظلومين، والعصبي هو الذي يغضب لعصبيته ويحامي عنهم، والعصبية الأقارب من جهة الأب لأنهم يعصبونه أي يحيطون به ويشتد بهم".[1]

وبما أن الكميت واحد من أبرز شعراء القبائل فقد دافع عن انتمائه القبلي في ملحمته وأسهب في الحديث عن توجهه القومي حيث قال:

يعاتبني في النصح فهر بن مالك ولا تدري ما يخفي الضمير عيوبها

أطيب نفسي عن لــؤي بن غالب وهيهــات مني ثــم هيهات طيـبها [2]

ذكر الشاعر هنا بعض أصوله وأعراقه التي ينتمي إليها، وهو بهذا يريد إيصال فكرة مفادها أنه عريق النسب لامع الشرف مقتفيا أثر العصبيات القبلية الجاهلية" وإذا كان الإسلام قضى عن العصبية القبلية وجعل الولاء لله وللرسول ولكن بعد وفاة الرسول الكريم صلوات الله تعالى عليه وسلامه بدت بوادر العصبية القبيلة تنبت بذورها من جديد".[3]

هذا ما جعل الشاعر يجدوا حدو الجاهليين في إبراز العصبية القبلية في الشعر، وبما أن الملحمة كانت جامعة لشتى صنوف الشعر فإن موضوع ذكر الأعراق كان حاضرا بقوة فيها فقد عاد بنا إلى وآبائه وأجداده وذكر أسمائهم بنوع من الاعتزاز والفخر مذكرا بهم كل من يمر على أثره الشعري، ليضاف الكميت إلى قائمة الشعراء المتأثرين بالقيم والمبادئ الجاهلية وقال في الفخر بقبيلته:

أبونا الذي سن المئين لقومه ديات وعداها سلوفا منـيبها

وسلمها فاستوثق الناس للتي يعلل مما سن فيهم جدوبها [4]

هذا اعتراف صريح بأصالة القوم وتحكمه في أقوام أخرى وتأثيره فيهم عن طريق فرض عادات وسنن سارت عليها العرب مما يدل على مركزية قوم الشاعر وفاعليتهم بين القبائل

---

[1]. عفيف عبد الرحمان: الشعر الجاهلي حصاد قرن، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط 1، 2007، ص 43.

[2]. الكميت بن زيد الأسدي: الديوان، ص 73.

[3]. فالح ناصيف الحجية الكيلاني: موسوعة شعراء العربية، المجلد 3، شعراء العصر الأموي، د ط، د ت، ص 13.

[4]. الكميت بن زيد الأسدي، ص 72 - 73.

السائدة آنذاك، ليقودنا هذا إلى الحديث عن الصراع من أجل الهيمنة الاجتماعية والنفسية وذيوع الصيت، هذا الصراع أسال الكثير من الدم والحبر وشغل الألسنة والأفكار منذ القديم.

استطاع الشاعر بهذا أن يقنع الجميع أن انتماءه القبلي هو الأنقى نظرا لكونه جمع عاطفة الانتماء بحجج عقلية قوية صاغها من خلال روافد فكرية متنوعة.

سادسا- المضامين النفسية

لقد عبر الشعراء العرب عن مشاعرهم وأحاسيسهم وتصوراتهم، وعن تجاربهم الشخصية ومواقفهم الحياتية بأسلوب فني يمتزج فيه الخيال بالعاطفة من أجل تجسيد حالتهم النفسية وانفعالاتهم وخواطرهم، وتعددت الأغراض الشعرية التي وظفها الشعراء لترجمة مشاعرهم وصف حالاتهم الروحية فكان الرثاء والهجاء والغزل والشكوى والاعتذار... وغير ذلك من الأغراض التي عكست الواقع النفسي للشاعر العربي وعبرت عن حالاته النفسية من ظلم واضطهاد وفرح وحزن وحرمان.

وفي هذه القصيدة التي هي قيد الدراسة نلاحظ أن الجانب النفسي كانت له لمحة بارزة في ثنايا تلك الأبيات، وهذا ينم عن حالته النفسية المضطربة ومشاعر الحزن والأسى والإحساس بالظلم والأسى الذي يختلج في قرارة نفسه، ما أدى به إلى إفراغ مكبوتاته والخروج عن دائرة الصمت فاستعمل عدة أغراض كشف بها عن مكنوناته، وأفصح عن عاطفته الخفية ومن هذه الأغراض نذكر:

1 - الشكوى

الشكوى ظاهرة قديمة جدا في الأدب وقد أولاها الشعراء عناية كبيرة وكان لها ومكانة واضحة في فصول دواوينهم، ولعل أكبر دليل على أنها غرض شعري قديم هو بروزها في شعر الصعاليك في العصر الجاهلي الذي كان خير نموذج لهذه الظاهرة؛ إذ نجد شعرهم مليء بصرخات الجوع والحرمان والفقر وانعكاس لحالات الظلم والاضطهاد والتهميش الذي لقوه من طرف قبائلهم وعشائرهم، وتعرف الشكوى بأنها: " فن من فنون الشعر الوجداني العميق، وهي بعد ذلك لون من ألوان المتجدد لاتساع نطاقها بين الشعراء نتيجة للحياة

الاجتماعية القاسية في ذلك العصر، وبخاصة شكوى الزمان أو"الدهريات" وهناك من فروع هذا الفن شكوى الأهل والأصدقاء، وندرة الوفاء واختفاء المعروف بين الناس".[1]

فالشكوى بهذا المفهوم تتبع من القسورة وتأزم العلاقات والأوضاع بين الناس وانعدام الثقة والإهمال .

وهكذا ضلت الشكوى غرضا سائدا يطغى على أشعار الشعراء العرب على مر الأزمنة وفي هذا الغرض وجد الشعراء مرتعا هاما لصياغة مشاعرهم السلبية منها والإيجابية، وهذا الشاعر الكميت نراه يسير على هذا النهج ويوظف هذا اللون الأدبي في أبيات كثيرة من قصيدته، وكان توظيفة هذا استجابة لدافع نفسي وسياسي في الوقت نفسه؛ إذ نجده يشتكي مما لقيه من ظلم وإبعاد وتهميش واضطهاد من قبيلته قريش الذي كان فيها معززا مكرما لا يشتكي هما ولا نصبا ولا عدوانا، ليجد نفسه غريبا عليها منسيا بين أبياء عشيرته ولا يحض فيها ولو بالقدر القليل من القيمة والاعتبار، ونلمس ذلك في قوله:

رمتنـــي قريش عن قســي عداوة وحقد كأن لم تدري أني قريــبها

توقع حـولي تـــارة وتصـــيبني بنبل الأذى عفوا جزاها حسيبـها

وأصبحت من أبوابهم في خطيطة ولا ذنب الأبواب مرت جذيـبـها[2]

هنا صرخة أتت من أعماق قلب الشاعر بث فيها كل ما يحمل من حرقة ولوعة وعذاب، فقد فتح باب تأوهاته بقوله رمتني وما تحمله هذه الكلمة من معاني الازدراء والقسوة ثم مر إلى وصف ما حصل بعد تلقيه تلك الضربة التي كان وقعها على نفسه كوقع السهام فحطمت عزيمته وزعزعت كيانه، حتى بات مصاحبا للبعد رغم قربه، مفتقرا للخير رغم وفرته، فشكوى الشاعر هنا كانت ترجمة لأحاسيسه ومشاعره المكبوتة وهذه الأمور جعلته يفقد الصبر والسيطرة ويبوح بما هو خفي في صدره وسبب له ألما وإزعاجا فهذا الأمر حز في نفسه وتفاقم إلى الحد الذي جعله بفقد السيطرة والتحمل لهذه المصيبة التي أحلت به وأثقلت قلبه من قبل أقرب الناس أليه ما أدى به إلى الإفصاح عن الأمر الذي أزعجه وشغل باله.

---

[1]. مصطفى الشكعة: فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، نقلا عن: ياسمين أختر: الشكوى في الشعر العربي في النصف الأول من القرن العشرين، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي، إشراف: سيد عبد الرزاق، قسم الأدبيات، الجامعة الإسلامية بإسلام أباد، 2010، ص 05.

[2]. أبو زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، ص 185.

رمتـــني بالآفات من كـل جـانب وبالذربـــيا مرد فهـــر وشيـبها
بـــلا ثبـــت إلا أقـــاويل كـــاذب يحرب أسد الغاب كفتا وثـوبـها
أفـــي كل أرض جئـتها أنا كائـن لخوف بني فهر كأني غريـبـها
وإن كنت في جذم العشيـرة أقبلت عليا وجـوه القوم كرها قطـوبـها [1]

كل هذه الأبيات كانت وعاءا صب فيه الشاعر مشاعره وأحاسيسه الجياشة، وحالة الحزن والأسى والحسرة على ما كان بينه وبين قريش من مودة وقرابة وصلة رحم وطيدة، وما آل إليه من بعد ونأي وإهمال منها، وبذلك لم يعجبه حال التصدع والتفكك والانحلال الذي أصاب علاقتهم، وكذا الظلم الذي رمته به قريش، ما جعله يشكوا همه، ويروي المشكل الذي أثقل كاهله، وأوجع قلبه وسيطر على عقله.، وكذا الظلم الذي رمته به قريش، ما جعله يشكوا همه، ويروي المشكل الذي أثقل كاهله، وأوجع قلبه وسيطر على عقله. ويرثي علاقته بقبيلته التي تصدعت وانتهت وانهارت بدون أي سبب مقنع أو دليل قاطع يثبت تهمته وإدانته، سوى أكاذيب وأحاديث ملفقة لا أساس لها من الصحة، فقد اتهم بأشياء لم تصدر عنه ولم تكن له يد فيها ولا تتماشى مع أخلاقه، والهدف من ذلك هو الحط من قيمة الكميت وإبعاده عنهم. ليصبح كالغريب عن قومه فكلما حاول الاقتراب منهم ابتعدوا عنه ونظروا إليه نظرة نفور واشمئزاز وتشكيك في نواياه.

وبهذا مثلت الشكوى غرضا شعريا مناسبا للحالة النفسية التي كان يعيشها الشاعر، حيث اتخذها الشاعر وسيلة أفسح فيها عن مشاعره وما يجول في خاطره وما أحس به من ألم وحزن وقسوة وعذاب ووجع بأسلوب منطقي مميز.

2 . العتاب

يعد العتاب من فنون الشعر العربي لا يقل أهمية عن الأغراض الشعرية العربية الرئيسة من مثل المدح والفخر والرثاء والهجاء...، وهو من الصور التعبيرية الأدبية التي يعبر بها الإنسان عن مشاعره في شكل حوار داخلي أو خارجي مع النفس الإنسانية أو مع أشخاص معينين؛ إذ يعرف العتاب في الشعر بأنه" من الفنون الوجدانية الخالصة يلجأ الشاعر إليها حينما يكون لديه إحساس بالتحول نحو المردة من المعتوب عليه فتدفعه بواعث متباينة إلى

[1] . المصدر السابق، ص 186.

فن يتوسط فيه بين أن يلوم المعتوب عليه من دون أن يوجه فينقلب العتاب إلى هجاء، وبين أن يطلب الإبقاء على الود دون أن يضع الشاعر نفسه موضع المتسول المستعطف".[1]

وهناك من يرى بأن هذا الغرض يندرج تحت غرض الهجاء ويدخل في بابه مثل شوقي ضيف في قوله: " ويدخل في المديح المراثي والافتخار والشكر واللطف في المسألة، ويدخل في الهجاء الذم والعتاب والاستبطاء والتأنيب، كما يدخل في الحكمة الأمثال والزهد والمواعظ، أما اللهو فيدخل فيه الغزل والطرد وصنعة الخمر والمجون ".[2]

لكن من جهة أخرى يمكن أن نعد العتاب غرضا مختلفا عن الهجاء كما يختلف عن المدح أيضا، وموضع الاختلاف يكمن في أن المدح يلجأ فيه الشاعر إلى وصف ممدوحه بالصفات المحمودة وينفي عنه كل قبيح، وأن الهجاء يذكر فيه الشاعر مساوئ مهجوه وكل خصاله القبيحة الذميمة بهدف احتقاره وتصغيره والتقليل من شأنه، في حين أن العتاب يخالفهما ولا يتماشى معهما لأنه يتطلب نوعا من البراعة الجدارة والحيطة والموازنة بين عواطف المعاتب والمعاتب، وذلك لأجل غاية محددة تتمثل في حفظ أواصر الحب والمودة بين الناس والالتزام بالقيم الإنسانية الواضحة.

فبهذا الغرض يعبر الشاعر عن حالته الوجدانية وعن إحساسه بالتحول والتغير من قريبه أو معتوبه فتدفع به مشاعره إلى استخدام العتاب للوم معتوبه دون إحراجه أو إوجاعه، مع مطالبته بحفظ العلاقة وإبقاء الود دون أن يضع الشاعر نفسه موضع الاستعطاف والتسول والحاجة وهذا ما نلمسه عند الكميت في هذه القصيدة؛ إذ نجده يعاتب قريش عما فعلت به حين رمته بالظلم وأبعدته عنها وآذته فخاطبها بلطف آملا في إصلاح الأحوال وعودة الصفاء بينهم يقول:

بنـــي ابنة مر أيـن مرة عنكم وعنا التي شعـبا يصير شعوبـها
وأيـــن ابنها عنـا وعنكم وبعلها خزيـمة والأرحـام وعـثا جـــؤوبها
إذا نحن لم ننل منكم حق إخوة على إخوة لم يـخش غشا جيوبـها
فـأية أرحـام يعـــاذ بفضـــلها وأيـــة أرحـــام يـؤدى نصيـــبها [3]

[1]. رائدة مهدي جابر: العتاب في الشعر العباسي، مجلة كلية التربية الإنسانية، العدد 10، جامعة بابل، 2013، ص 510.
[2]. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط 11، د ت، ص 191.
[3]. أبي زيد القرشي: جمهوة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، ص 786.

نلاحظ من خلال الأبيات أن الشاعر أكثر من اللوم والعتاب على قبيلة قريش ويظهر ذلك جليا من خلال توظيفه الألفاظ التي تشير إلى النسب والأرحام والقرابة مثل قوله: بني ابنة مر، ابنها، الأرحام، إخوة وهذا يومئ بعلاقة وطيدة تجمعهما، وأيضا استعماله في الوقت نفسه أساليب الاستفهام مثل: أين، أي، أية، ليتساءل بها عن المصير الذي آلت إليه هذه العلاقة التي تفككت، ويتساءل أيضا عن حاله كيف كان وكيف أصبح، ويتحسر عن أيام المودة والنقاء، والهدف من عتابه لهم هو تحريك نفوسهم وبعث الإحساس بالذنب فيهم وتنبيههم إلى خطئهم في حقه وإساءتهم له راجيا من كل ذلك الاستجابة لندائه وسماع صوته المتحسر الحزين، آملا أيضا في أن يقروا بقدره ويعترفوا به، وأن تتحسن صلتهم به وتصلح أحوالهم ويتفاهموا، دون أن يبالغ الشاعر في عتابه أو أن يتخذ موقف المتسول المستعطف لتجنب الجفاء والاحتقار وضمان الراحة النفسية والعقلية.

وقال أيضا:

لنا الرحم الدنيا وللناس عندكم سجال رغـــيبات اللهى وذنـــوبها
ملأتم حياض الملحمين عليكم وآثـــاركم فيـــنا تضـــب نذوبـــها
ملأتم فجاج الأرض عدلا ورأفة ويعجز عنـــي غير عـجز رحيبها
ستلقون ما أحببتم في عـــدوكم عليكم إذا ما الخيل ثار غضوبـها
ولكنـــكم لا تستثيـبون نعـــمة وغيـــركم من ذي يـــد يستثيـــبها
وإن لكم للفضـــل فضلا مبرزا يقصـــر عنكم بالسعـــاة لغـــوبها [1]

في هذا الشق من العتاب يلوم الشاعر قومه على إساءتهم إليه وتقصيرهم في حقه وتفريطهم في جنبه وإهمالهم له، فهم أهل الجود والكرم والسخاء العدل والكل يشهد لهم بهذا حتى إن خيرهم وعطائهم وفضلهم ونوالهم قد عم جميع الناس وحفهم، غير أنه لن يصبه شيء من هذا الخير الرغيد وكأنه هو العدو اللدود الذي لم يروا منه غير المكاره والشرور وهو الذي يحبهم ويتمنى قربهم، ثم نراه يتوعدهم بأنه سيأتي اليوم الذي يحتاجون إليه ولا يجدونه حين ينقلب عليهم الأعداء ويثورون في الحرب، فهم لم يقدرا النعمة التي منحت لهم ولم يلتفتوا إليها وتخلوا وتكبروا عنها، وهناك من الناس من يتمنى أن ينعم بها أو يحظى ولو بالقليل مما حظوا به .

[1] . المصدر السابق، ص 787.

نستنتج من كل هذا أن العتاب خطاب نفسي داخلي أو خارجي على تضييع حقوق المودة أو الصداقة والإخلال بالعلاقات، ولا يكون العتاب إلا من شخص له شيء خفي يود إخراجه، أو موات يمت بها على أن يكون صريحا في كل ما يحس به أو يقوله، وهو وسيلة لتحسين العلاقات وتحقيق التفاهم.

3 ـ الحنين والإغتراب

لعبت نفسية الشعراء دورا هاما في توضيح مكنوناتهم وكانت محركا رئيسا في منظومة الإبداع الفني، هذا لأن النفس البشرية هي موطن الإحساس، والإحساس هو المنبه الأول للشاعر أثناء عملية الصناعة الشعرية ، فكان الشعراء أصدق ممثل للحنين بكل أشكاله وصوره، فقد عرفوه لعدة أسباب منها: البعد والنأي والبحث عن الرزق والموت فحنوا إلى الحبيب والديار والقوم وعبروا عن هذا الإحساس الصعب في أشعارهم و" الشعر الجاهلي يحفل بذكر الحنين إلى الوطن وكره الغربة ويشرك الشاعر ناقته في حنينه إلى الأهل والحمى، فهي تحن كحنينه وإن اختلفت جهة الحنين فكل منهما يغرض إلى أهله وأحبابه يقول شاعر من بني كلاب:[1]

فمن يك لم يغرض فإني وناقتي بحجر إلى أهل الحمى غرضان

أليفا هوى مثلان في سر بيننا ولكنـــنا فـي الجـــهر مختـلفان

وما يميز أنماط الشعور هو توالدها عن بعضها البعض، فإذا قلنا الحنين فهو يستلزم الحديث عن الغربة والاغتراب والغربة تعني" النأي والبعد والنفي عن الناس، والتغريب النفي عن البلدان والأوطان، وغرب في لأرض وأغرب إدا أمعن البعد، وأغرب صار غريبا، وكثيرا ما تكون الغربة فسرية بسبب ما يتعرض له الإنسان من ظلم وخوف أو جوع، أما الاغتراب فهو طوعي يختاره الإنسان لأسباب منها عدم الانسجام مع المجتمع والعجز عن الانتماء وعدم الرضا بالتقاليد والأعراف والمخالفة في الفكر والمعتقد".[2]

فقد حمل كل عصر من أسباب الحنين والاغتراب ما يتلاءم مع طبيعته السياسية والاجتماعية، وبما أن المجتمع يتقدم عبر العصور فإن النفس الإنسانية تحاول جاهدة مواكبة

---

[1]. يحيى الحيوري: الحنين والغربة في الشعر العربي الحنين إلى الأوطان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2008، ص 35.

[2]. المرجع نفسه، ص 17.

ما يحصل، فلما كانت أسباب الاغتراب تتمحور حول البحث عن العيش الكريم والهروب من العقاب وإتباع أثر المحبوبة في العصر الجاهلي.

فقد انحصر سبب الشعور بالحنين والاغتراب في صدر الإسلام بالسفر من أجل الجهاد ونشر الدين الإسلامي، غير أن الأسباب كثرت في العصر الأموي، فبالإضافة إلى الجهاد والبحث عن سبل العيش الكريم هناك أسباب سياسية تمثلت في الهروب خوفا من تسلط الحكام، أو حتى الطرد من القبيلة على شاكلة ما حدث في العصر الجاهلي، لذلك وجدنا العديد من الشعراء عانوا من ويلات الطرد من القبيلة وأحسن من مثلهم الكميت بن زيد الأسدي الذي نفس عن هذه الكرب النفسية في ملحمته، إذ عبر عن حنينه وغربته بعيدا عن دفء القبيلة موظفا أقصى جهده في إيصال معاني الحنين بعد اغتراب شديد الوقع فقال:

وهل يعدون بين الحبيـــب فراقه نعم داء نفس أن يبين حبيبها
ولكن صبرا عن أخ لك ضـــائر عزاء نفس إذا ما حن طروبها
تركنا مطاف الشعب وهو محلنا لكم ومطاخ الواجبات جنوبـها [1]

عبر الشاعر عن فراقه لقبيلته أو بالأحرى تحدث عن طرده وإبعاده عن قومه من قبلهم فكان هذا بمثابة ألم أو صدمة ألمت به واعتبر نفسه ابتعد عن الأحبة وهو أمر عويص على النفس أن تتعايش معه، وحاول أن يكون صبورا أثناء هذه الفاجعة التي حلت به فمزقت نفسه ونغصت حياته فرحل عن وطنه وديار مجبرا وهو رافض لهذا الرحيل ما جعل الأسى والحنين يسيطر على روحه.

ففتح المجال إذن أمام العواطف المتضادة بين الحنين والأسى والشوق وذلك بسبب الفرية الإجبارية والاغتراب المر الذي لم يستطع الشاعر تقبله، وفي الحقيقة فإن أغلب أبيات الملحمة تحمل بين طياتها لوعة البعد ومعاني الحنين وضربات الاغتراب الموجعة. فقد انتقل الشاعر بين الأغراض لكن كل غرض كان يأخذ نصيبه من الألم والعذاب الناتج عن البعد الذي عبر عنه الكميت بالكثير من التأثر فحنينه إلى موطنه وتذوقه لسم الاغتراب عنه دفعه غلى إفراغ ما في العاطفة المتقدة فقال:

فلـــما نفيـــتم عـــن تهـــامة كلهـا بيـــوتا هي الأدنى إليكم نسيبها
فرغتم لـنا في كـــل شـرق ومغـرب بنـــا ولنـــا أظفـاركم وعلوبـــها

[1]. الكميت بن زيد الأسدي: الديوان، ص 70 ـ 71.

إذا سمت نفسي عن بني النظر سلوة عصتني فلم يسلس لطوع جنيبها [1]

كان النفي ثم توالت بعده التضاربات الشعورية والنفسية فقد تجرأت القبيلة في الاستغناء عن أحد رجالها الأفذاء وإطفاء أحد العقول المنيرة لها فأراد الشاعر أن ينسى ذلك القوم لكن ما للنسيان من سبيل، فحبه لبيته وما تركه هناك من ماض مجيد وواجبات تؤدى جعلاه دائم التذكر، فكيف ينسى والحب يجبره على حفظ وطنه في ذاكرته وفي قلبه ومعروف عن الكميت أنه صادق الشعور .

فصور في الملحمة ما فكر فيه وأحس به لكي لا يترك مجالا للشك في تفكيره أو مكانا لعدم تصديق عاطفته، لهذا جاءت الملحمة لتوضح مدى الاتفاق بين العقل والعاطفة.

تستنتج مما سبق أن هذه الملحمة كثيرة المضامين، متشعبة المحتوى، دقيقة المعاني ساقها الكميت كعصارة فكر يستفاد منها، إذ ألبسها ثوبا سياسيا وتولد عنه نبض تاريخي ممزوج بروح فكرية متأصلة، جابت جغرافيا الأحداث عاكسا تفاصيل مجتمع ذاب الشاعر في ثناياه، تحت تأثير خلجات نفسية متنوعة بأسلوب محكم من شاعر مطبوع أعادنا إلى أصول الشعر العربي في الجاهلية.

[1]. المصدر السابق، ص 73 ـ 74.

الفصل الثاني

الخصائص الفنية للملحمة

أولا ـ لغة القصيدة.

ثانيا ـ الأسلوب.

ثالثا ـ الصورة الشعرية.

رابعا ـ الموسيقى الشعرية.

الفصل الثاني: الخصائص الفنية للملحمة

تتميز القصائد الشعرية بالتشعب الفكري والوجداني لذلك يكون العمل عليها متفرعا فمن يغص في عالم الشعر يجب أن يقف على مجموعة من العناصر التي تشكل القاعدة الأساسية لكل دراسة فنية، وذلك من خلال تحليل اللغة الشعرية وما تحمله من ألفاظ ومعاني، والتفصيل في الأسلوب وتبيين مدى أثره، وكذلك الصورة الشعرية باعتبارها محور البلاغة والجمال، فضلا عن الموسيقى التي تعد من أبرز ركائز الاستمالة.

أولا- لغة القصيدة

تعد اللغة بوصفها أداة للتواصل المرآة التي تنعكس فيها أفكار الفرد والوعاء الذي يحمل جملة من الألفاظ والمعاني التي يبني بها الإنسان أفكاره، وغالبا ما يحرص الشاعر على تنقية لغته من الشوائب وضبطها باختيار الألفاظ الملائمة للمعاني التي يصوغها في ذهنه ويترجمها في شعره وذلك لتجنب الإخلال بالمضامين التي يوردها، فاللفظ والمعنى هما أساس اللغة والركيزة الأولى لتشكيل الكلام فكل منهما يكمل الآخر وفي هذا الصدد يقول ابن رشيق: " إن اللفظ جسم وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر وهجنة عليه(...) وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ في ذلك أفر حظ".[1]

إذن بهذا التشبيه الذي وضعه ابن رشيق يكون اللفظ والمعنى متلازمين في الكلام وهما جوهر اللغة وقوامها وكلاهما يكمل الآخر، وانطلاقا منهما يبني الشاعر نسيجه الشعري محاولا التوفيق بينها وبين مكنوناته، فهو يوظف اللغة الشعرية التي تتميز ببعض الخصوصية والتميز عن لغة الكلام العادية، إذ يعرف عباس محمود العقاد اللغة من زاوية نظر شعرية بقوله: " اللغة بنيت على نسق الشعر في أصوله الفنية والموسيقية، فهي في جملتها فن منظوم، ومنسق الأوزان والأصوات لا تنفصل عن الشعر في كلام تألفت منه ولو لم يكن من كلام الشعراء".[2]

إذا تأملنا اللغة الشعرية التي وظفها الكميت في هذه القصيدة نجدها لغة مثلى لأنها نبعت من صميم الشخصية والحدث؛ فالشخصية تشبعت بإشعاعات الشعرية الجاهلية وتجلى

---

[1] . ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج 1، ص 124.

[2] . عباس محمود العقاد: اللغة الشاعرة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د ط، 1995، ص 08.

ذلك في الألفاظ الغريبة والمصطلحات الغامضة المناسبة لعقلية الأمويين المحافظة على سلوكيات الشخصية الجاهلية بسبب تقارب العصرين زمنيا، هذا يستدعي الاستعانة بالمعجم لفك رموز هذه القصيدة، ونلاحظ كذلك تأثر الشاعر بالقرآن الكريم وبالشعر الجاهلي والإسلامي، ومن أهم العناصر التي تبلورت فيها لغة القصيدة عند الكميت نذكر:

1- الألفاظ الغريبة: من الألفاظ الصعبة الغامضة التي وظفها الشاعر قوله:

فأصبحت فدما مفحما وضريبتي محـــالف إفحـام وعي ضريـبها
فقـــائبة مـــا نحـــن يومـــا وأنـتم بني عبد شمس أن يفيء وقوبها
كلـــوا ما لديكم من سنام وغارب إذا غيـــبت دودان عنكم غيوبها
تركنا مطاف الشعب وهو محلنا ومـــطـــاخ الواجبـــات جنـــوبهـا [1]

نلاحظ في الأبيات أن هناك مجموعة من الألفاظ الصعبة كقوله (الدبور، فدما، مفحما ضريبتي، محالف، إفحام، وعي، قائبة، تفيء، وقوبها، سنام، غارب، مطاف، مطاخ....) فهذه الألفاظ يصعب فهمها كما أنها ألفاظ غير مألوفة في المعجم اللغوي الذي يستعمله الإنسان العربي في حياته اليومية، كما أن شرحها وإدراك معانيها وتبسيطها للمتلقي يتطلب الكثير من الوقت والجهد وهذا النوع من الألفاظ يجعل القراء لا يقبلون على قراءته والنفور منه، خاصة وأن النقاد القدماء حثوا على ضرورة اختيار الألفاظ السهلة المبسطة والابتعاد عن الألفاظ الحوشية الغريبة والسوقية التي تحط من قيمة العمل الأدبي، فلا بد للفظ أن يكون جزلا واضحا خاليا من الغموض لكي يثير اهتمام المتلقي وينجذب له.

2- الحقل المعجمي: تميز المعجم اللغوي عند الكميت بالتنوع والثراء كونه من الشعراء الذين عملوا على اللغة الشعرية، فكانت ألفاظه مكانا مناسبا لمعانيه وأبياته ملجأ آمنا لأفكاره ما جعل معجمه اللغوي يمتاز بالتنوع ومن المعاجم اللغوية البارزة في القصيدة نذكر:

أ) **الحقل السياسي:** نرى أن الشاعر وظف المعجم السياسي بكثرة وذلك لان شعره ينبع من روح السياسة ومن الألفاظ الدالة على ذلك قوله: (العدو، شعب، الملحمين، ثار الأسنة، نبلة، الغنائم، الحرب، سيوف، شب، أشراف، مغاوير، أبطال، الوغى، الرمح السنان، خضيب)، كل هذه الكلمات تشير إلى السياسة من حيث إيحائها إلى الحرب وأدواتها وأسلحتها وأبطالها.

[1] . الكميت بن زيدالأسدي: الديوان، ص 69 ـ 71.

ب) الحقل التاريخي: من الألفاظ الدالة على ذلك (بني فهر، مر، خزيمة، الأرحام لؤي بن غالب، سامة، بني عبد شمس، بني النظر، مالك).

ج) الحقل الديني: الألفاظ التي تشير إلى الجانب الديني قوله: (سجال، عدلا، رأفة عبر، هدى، المعروف، أخلاق، الله، نبي، الفضل، صفوة، سيرة، فجاج، بيت الله، الرضا الحلم)

د) الحقل الاجتماعي: من الكلمات التي تعبر عن الحالة الاجتماعية قوله:(العشيرة طعمة، الكنيف، الضيف، القوم، قبر، بيوت، الآفات)

هـ) الحقل الجغرافي: تضمنت أيضا لغة الشاعر بعض من أسماء الأماكن والمواقع التي تقع في مكة المكرمة أين تقطن قبيلته (قريش)، يعتبرها أماكن عريقة ومشهورة فذكر: (البطحاء، تهامة، بيت الله، عكاظ، زمزم، حراء، ثور...).

و) الحقل النفسي: نلاحظ أن معظم الألفاظ المستعملة من قبل الشاعر تعكس عاطفته الجياشة ومشاعره المتقدة إذ يبرز ذلك من خلال نغمة الحزن والقلق والاضطراب الذي يسيطر على نفس الشاعر فاتخذ هذه الألفاظ ليعبر بها عما يجيش في صدره من لوعة الألم والفراق والظلم الذي عانى منه، وهذا النوع من الألفاظ حقق ملائمة واضحة مع المعاني التي استخدمها الشاعر بأسلوب عذب سلس، ومن الألفاظ الدالة على عاطفة الشاعر اتجاه قومه قوله:(الضيم، رمتني، قسي، عداوة، تصيبني، الأذى، قطعتم، بين، الحبيب، فراقه حن، ذوارف، خطيطة، ذنب، كاذب، خوف، عتيبها، تستثيبون، نفيتم، دمع، سلوة، فدى تركنا، توقع، تصيبني، يحرب، مطمئنة ...).

بعد إيرادنا لهذه الحقول المعجمية وما تحتويه من ألفاظ تبين لنا أن المعجم الغالب على القصيدة هو المعجم النفسي وهذا تماشيا مع حالة الشاعر النفسية وروحه المضطربة.

3ـ التناص

التناص من الظواهر النصية نعني به تداخل النصوص مع بعضها البعض وقد يكون التداخل بين نص شعر وآخر نثري أو بين نص نشري وآخر ديني أو بين نص شعر ونص

آخر شعري وهكذا لا يشترط أن يكون التناص من نفس الجنس الأدبي، " إن كل نص هو عبارة عن لوحة فسيفسائية وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى".[1]

ويعرفه عبد الملك مرتاض بقوله: " إن النص شبكة من المعطيات الألسنية والبنيوية والإيديولوجية تتضافر فيما بينها لتنتجه، فالنص قائم على التعددية، ولعل هذا ما تطلق عليه "كريستيفا" " production du texte" إنتاجية النص على كيفية بنشاط هذه اللغة التي هي أصل النص الأدبي في كل مراحله ومظاهره".[2]

وقد وظف الكميت في شعره هذه الظاهرة النصية في كثير من أبياته ويمكن توضيح ما استعماله الشاعر من تناص فيما يأتي:

أ) التناص الديني: استعمل الكميت التناص الديني ممثلا بالقرآن الكريم الذي يعد من الروافد المهمة في الشعر العربي والمرجع الأول لكل دراسة، حيث تتعد صور التناص في القرآن فنجد منه ما يتعلق باللفظ وما يتعلق بالمعنى، وفي القصيدة نجد الكميت اعتمد على جانب اللفظ وأهمل المعنى ومن الألفاظ المقتبسة من القرآن الكريم نجد قول الشاعر:

ملأتم فجاج الأرض عدلا ورأفة ويعجز عني غير عجز رحيبها [3]

في هذا البيت نجد ثلاث ألفاظ مستوحاة من القرآن الكريم وهي:

(فجاج) في قوله تعالى: " **لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (20)**" نوح

(عدلا) وردت في قوله تعالى: " **وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(115)**" الأنعام

(رأفة) جاءت في قوله تعالى: " **وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (2)**" النور

وورد تناص آخر في قول الشاعر:

ولكن صبرا عن أخ لك ضائر عزاءا إذا ما النفس حن طروبها [4]

---

[1] . عبد الله محمد الغدامي: الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط 1، 1985، ص 322.

[2] . نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد لعربي الحديث، دار هومة، الجزائر، د ط، 2010، ص103.

[3] . الكميت بن زيد الأسدي: الديوان، ص 69.

[4] . المصدر نفسه، ص 70.

فلفظة "صبرا" وردت أكثر من مرة في القرآن وبصيغ متعددة ومنها قوله تعالى: " **فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (5)**" المعارج

وقع تناص أخر في قوله:

ولم أرى باب الشر سهلا لأهله ولا طرق المعروف وعثا كثيبها [1]

كلمة المعروف في قوله تعالى: " **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (104)**" آل عمران

نلاحظ أن الشاعر أكثر من توظيف ألفاظ القرآن فقط دون المعاني وفي هذه الحال يكون أقل تأثرا بالقرآن وهو بهذا يقتبس اللفظ القرآني للتعبير عن معاني أخرى تخرج عن سياق القرآن.

ب) التناص الأدبي: وظف الكميت التناص الأدبي معتمدا على ثقافته الأدبية وإرثه الشعري وتكمن قيمة هذا التناص في تقوية الجانب الجمالي للقصيدة وتأكيد المعنى، ويظهر في لغة الشاعر تأثر كبير بالشعر الجاهلي والإسلامي في ألفاظه ومعانيه، ومن أمثلة هذا التناص نذكر قول الكميت:

لعمر أبي الأعداء بيني وبينها لقد صادقوا آذان سمع تجيبها [2]

وقول النابغة الذبياني:

لعمري وما عمري علي بهين لقد نطقت باطلا عليا الأقارع [3]

فالشاعر متأثر بالشعر الجاهلي في لفظه، حيث استعمل كلمة القسم" لعمري" التي كان يستعملها الجاهليون في الحلف والقسم لأنه بعد مجيء الإسلام تم التأكيد أن الحيف والقسم لا يكون بغير الله، بل وجعل في ذلك إثما كبيرا.

ومن أمثلة التناص اللفظي نجد أيضا قول الكميت:

بني ابنة مر أين مرة عنكم وعنـا التي شعبا يصير شعوبها

لتتركنا قرب لؤي بن غالب كسـامة إذ أودت وأودى عتيبها

فقـائبة ما نحن يومـا وأنتم بنو عبد شمس أن تفيئ وقوبها [4]

---

[1] . المصدر السابق، ص 66.

[2] . المصدر نفسه، ص 68.

[3] . النابغة الذبياني: الديوان، شرح وتقديم: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 3، 1996، ص 54.

[4] . الكميت بن زيد الأسدي: الديوان، ص 68 ـ 70.

نجد اقتباس لفظي واضح بين هذه الأبيات وأبيات أخرى من شعر أبو طالب والتي يقول فيها:

سوى أن رهطا من كلاب بن مـرة بــراء إلـينا فــي معقة خــاذل
وشائظ كـانت في لؤي بن غـالب نفتهن إلينا كل صقر الحلاحل
جـزى الله عنا عبد شـمس ونــوفل عقوبة حشر عاجل غـير آجـل [1]

ففي الأبيات التي قالها الشاعر والأبيات التي قالها أبو طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم تشابه لفظي بارز، فمن الألفاظ الواردة في كلا البيتين (مرة، لؤي بن غالب، عبد شمس) وتأثر الشاعر بأبي طالب راجع إلى انتمائهما العرقي إلى قريش.

كما نجد تناص لفظي آخر بينهما فل قول الكميت:

ومرسى حراء والأباطح كلها وحيث التقت أعلام ثور ولوبـها [2]

وقول أبو طالب:

وثور ومن أرسى ثبير مكانه جبل وعير ورهق من حراء ونازل [3]

أيضا نصادف في البيتين تشابه بعض الألفاظ مثل: (ثور وحراء) هذا التناص لا محالة راجع إلى كون الشاعرين من منطقة واحدة وهي مكة المكرمة.

يقول الكميت كذلك:

وإن لم يكن إلا الأسنة مركب فلا رأي للمحمول إلا ركوبها [4]

ويقول حسان بن الثابت:

يـبارين الأسنــة مصــعدات على أكتــافها الأسل الضماء [5]

نستنتج أن التناص في كل الأبيات التي سبقت كان على مستوي اللفظ فقط دون المعنى وهذا ينبئ عن مهارة الشاعر وتمكنه من اللغة وبراعته في النقل مع الالتزام بالمعنى الذي أراده هو.

---

[1] . أبي طالب: الديوان، جمع وشرح: محمد التونجي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1994، ص 69 ـ 72.

[2] . الكميت بن زيد الأسدي: الديوان، ص 72.

[3] . أبي طالب: الديوان، ص 65.

[4] . الكميت بن زيد الأسدي: الديوان، ص 71.

[5] . حسان بن الثابت: الديوان، شرح وكتابة وتقديم: عبد مهنأ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 1994، ص 19.

فكما كان للألفاظ الجاهلية والإسلامية حظ وافر في شعر الكميت، فقد حظيت المعاني أيضا بقدر لابأس به، فقد لجأ الشاعر إلى تضمين كلامه بعضا من معاني الشعراء الذين سبقوه في الجاهلية والإسلام ومن التناص المعنوي الموجود نذكر قول الكميت:

بلا ثبت إلا أقاويل كاذب يحرب أسد الغاب كفتا وثوبها [1]

وقول النابغة الذبياني:

أتــاك بقــول لم أكـن لأقـوله ولو كبلت في ساعدي الجوامع [2]

كما نلمس تناص معنوي آخر بين قول الكميت:

إذا نحن منكم لم ننل حق إخوة على إخوة لم يخش غشا جؤوبها [3]

وقول زهير بن أبي سلمة:

ومن يجعل المعروف في غير أهله يكن حمده ذما عليه ويندم [4]

كما نجد تناص آخر بين قول الشاعر:

ستـلقون ما أحببـتم فـي عدوكم عليكم إذا ما الخيل ثار غضـوبها

ملأتم فجاج الأرض عدلا ورأفة ويعجز عني غيــر عجز رحيـبها

قطعتم لسـاني عن عدو تـنالكم عقــاربــه تـلذاغهــا وذبيـبهــا [5]

وقول أبو طالب:

ولما رأيــت القوم لا ود فيـهم وقد قطعوا كل العرى والوسائل

وقد صارحونا العداوة والأذى وقد طاوعوا أمر العدو المزائل

وقد حالفوا قوما علينا أضـنة يعضون غيظا خلفنا بالأنـامل [6]

فعند قراءتنا لمضمون الأبيات الأولى ومضمون الأبيات الثانية نجدها تقريبا بنفس المعنى مع تغير الصياغة اللفظية لكل شاعر، فنجد الكميت يشكو ويتحسر من معاملة قومه له وتفضيلهم الغرباء الذين هم الأعداء عنه ويقر بأن لا ود ولا خير فيهم كذلك أبو طالب

[1] . الكميت بن زيد الأسدي: الديوان، ص 67.

[2] . النابغة الذبياني: الديوان، ص 55.

[3] . الكميت بن زيد الاسدي، الديوان، ص 68.

[4] . الزوزني: شرح المعلقات السبع، ص 86.

[5] . الكميت بن زيد الأسدي: الديوان، ص 69.

[6] . أبي طالب: الديوان، ص 63.

في أبياته فهو يرمي إلى نفس المعنى الذي قصده الكميت فكلاهما يعيش قصة ظلم من طرف قومه.

نخلص إلى القول أن التناص عند الكميت بنوعيه الديني والأدبي، على المستويين اللفظي والمعنوي ينهل من منبعين أساسيين هما القرآن الكريم بما يزخر به من ثراء لفظي وبلاغي، والشعر الجاهلي بما يحمله من ألفاظ ومعاني المفعمة بالروح العربية الأصيلة، وكل منهما أدى وظيفته النحوية والبلاغية والجمالية وساهم في بناء نسيج القصيدة وتماسكها.

ثانيا- الأسلوب

الأسلوب هو عنصر مهم من عناصر الشعر العربي فيه يعكس الشاعر أفكاره وخيالاته فيعبر عما يجول في خاطره بطريقة منظمة منسقة، وهناك نوعان من الأسلوب خبر وإنشاء ولكل منهما صيغه وأغراضه ويعرفه ابن منظور بقوله " ويقال للسطر الواحد من النخيل أسلوب، وكل طريق فهو أسلوب، فالأسلوب الطريق والوجه والمذهب فيقال أنتم في أسلوب سوء، والأسلوب بالضم: الفن، أخذ فلان في أساليب القول أي أفانين منه".[1]

ويعرفه شوقي ضيف في قوله: " المظهر لإنتاج الأديب والصلة بينه وبين المخاطبين أو هو طريقة المتكلم الخاصة في نقل أفكاره إلى الناس وصوغها في جمل وعبارات".[2]

فالأسلوب عبارة عن قالب فني جمالي يصيب فيه الشاعر أفكاره ومشاعره، ويترجمها عن طريق اللغة من خلال الجمل والألفاظ الموحية التي تترك وقعا في نفس المتلقي يقول ابن خلدون في حديثه عن صناعة الشعر ووجه تعلمه: " فإن لكل فن من الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه على أنحاء مختلفة وتنتظم التراكيب فيه بالجمل وغير الجمل إنشائية وخبرية اسمية أو فعلية متفقة أو غير متفقة مفصولة أو غير مفصولة، على ما هو شأن التراكيب في الكلام العربي".[3]

وعند قرائنا لقصيدة الكميت نقف فيها على العديد من الأساليب الإنشائية والخبرية.

---

[1] . ابن منظو: لسان العرب،ج7، مادة سلب، دار صادر، بيروت، ط 3، 2004، ص225.

[2] . شوقي ضيف: في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ط 5، 1977، ص29.

[3] . ابن خلدون: المقدمة، ص 571.

1- الأسلوب الإنشائي:

هو" أسلوب لا يحتمل الصدق ولا الكذب ويتضمن عاطفة وينشئ به قائله أمرا ونهيا أو استفهاما أو نداء أو تعجب لغرض بلاغي يفهم من السياق".[1]

أ) الإنشائي الطلبي: نريد بالأسلوب الإنشائي الطلبي ما يطلب به حصول شي ما هو غير موجود أثناء الطلب وله صيغ متعددة مثل: الأمر، النهي، الاستفهام والنداء، ومن الأساليب الإنشائية الطلبية الموجودة في القصيدة نورد:

1 ـ الأمر: يتجلى أسلوب الأمر في هذه القصيدة من خلال قول الشاعر:

صبـــرا عـــن أخ لـــك ضـــائر عزاء إذا ما النفس حن طروبـها

كلوا ما لديكم من سنام وغارب إذا غيبت دودان عنكم غيـوبها [2]

استعمل الشاعر أسلوب الأمر في البيتين بصيغتين مختلفتين: المصدر النائب عن فعل الأمر في قوله (صبرا) في البيت الأول، الذي خص به نفسه فقد وجه أمرا لنفسه يطلب منها الصبر والتجلد أمام ما لقيه من قومه بعدما طرد من بينهم وكانت نفسه قد حنت وطربت إلى لقياهم فوجه لنفسه هذا الأمر قصد مواساتها والتخفيف من ألمها، وفي البيت الثاني استعمل فعل الأمر (كلوا) الذي وجهه لقومه يأمرهم من خلاله بأكل ما لديهم إن منعت عنهم(دودان) خيراتها وقطعت عنهم رزقها، وكأنه يتوعدهم بمعنى أنكم لن تجدوا ما تأكلون لو قطعت هذه القبيلة عنكم خيراتها.

2 ـ الاستفهام: لقد أكثر الشاعر من توظيف أسلوب الاستفهام باستعمال أدوات استفهامية مختلفة ليتساءل عن أشياء كثيرة شغلت باله يقول:

أفـي كل أرض جئتهـا أنا كائن لخوف بني فهر كأني غريبـها؟

بنـي ابـنة مـر أين مرة عنكم؟ وعنا التي شعبا يصير شعوبها

وأيـن ابنهـا عنا وعنكم وبعلها؟ خزيـمة والأرحام وعثا جؤوبها

فـأية أرحـام يعـاذ بفضلـها؟ وأيـة أرحـام يـؤدى نصيـبها؟

فأيـن بلاء الديـن عـنا وعـنكم؟ لـكل أكف حـاقنات ضريـبها

---

[1] . حميد الشيخ: الوافي في تيسير البلاغة" البديع، البيان، المعاني"، نقلا عن، بوحلاسي خولة: جماليات الأسلوب في مدحيات آل البيت، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، إشراف: حاتم كعب، جامعة أم البواقي، 2016، ص 58.

[2] . الكميت بن زيد الأسدي، الديوان، ص 70.

وهل يعدون بين الحبيب فـراقه؟ نعم داء نفس أن يبين حبيـبها
يشوبون للأقصين معسول شيمة فأنى لنا بالصاب أنى مشوبها؟
أبـوها أبـي الأدنـى وأمي أمـها فمـن أين رابتني وكيف أريـبها [1]

كل هذه الأبيات جاءت عبارة عن استفهام وإن اختلفت الصيغ والأغراض حيث وظف أدوات استفهامية مختلفة منها (أفي، أين، أية، هل، أنى، كيف) وفي كل هذه الاستفهامات تساؤلات أحيانا عن نفسه وأحيانا أخرى عن قومه خاصة في شكواه منهم وعتابه لهم. فتساءل عن حاله التي آل إليها وعن معاملتهم السيئة له وعن النكران والجفاء الذي أصابه منهم وتساءل عن الأرحام والأنساب التي تجمعه بهم أين ذهبت فهم لم يرعوا له ودا، كما يستفسر أيضا عن حال العلاقة التي تجمعه بهم كيف تصدعت وتفككت وكيف هان عليهم فراقه، وتساءل عن حقه في أرضه وعن قيمته ومكانته بين أبناء قومه وهل يا ترى سيأتي اليوم الذي يرجع فيه إليهم ويحظى بقربهم وكل هذه التساؤلات طرحها الشاعر راغبا في إيجاد أجوبة تقنعه وتجعله يكف عن الشكوى والعتاب.

3 ـ النداء: في قوله

بني ابنة مر أين مره عنكم وعنا التي شعبا يصير شعوبها [2]

نلاحظ من خلال القصيدة أن أسلوب النداء لم يرد كثيرا حتى إنه يكاد ينعدم، حيث ورد في بيت واحد فقط وهو نداء نفهمه من سياق الكلام كما أنه يخلوا ما أدوات النداء المعروفة وهذا النداء ندركه من خلال قوله (بني ابنة مر) ومر هو أبو تميم بن إلياس بن مضر الذي يرجع إليه الشاعر بنسبه وفي البيت نداء يعقبه سؤال فقد ناداهم نداء قريب لبعيد ليسألهم عن نسبه بعدما نكروه، فقال لهم: (بني ابنة مر) مع حذفه لأداة النداء (يا) أو (أيا) من أنتم و من نحن؟ ألم نأت من أصل واحد أو لسنا بنو أب واحد فلماذا هذه المعاملة ولماذا هذا النكران؟ وهذا النداء غرضه التوبيخ والتأنيب.

4 ـ التمني: في قوله:

أطيب نفسي عن لؤي بن غالب وهيهات مني ثم هيهات طيبها [3]

[1] . المصدر السابق، ص 68 ـ 71.
[2] . الكميت بن زيد الأسدي: الديوان، ص 68.
[3] المصدر نفسه: الديوان، ص 73.

في البيت تمني صريح من الشاعر وذلك من خلال توظيف لفظة هيهات، التي كررها مرتين، فهو يتمنى أن ينال من طيب بني غالب وهم قريش، والمقصود بطيبها عطرها وشذاها الفواح الذي يريد به سيرتهم الزكية وأخلاقهم الرضية وكرمهم وجودهم، وكل الصفات المحمودة التي تنسب لهم والتي يفوح عطرها الطيب الزكي عند كل الناس وبين كل الأقوام وتكراره لكلمة (هيهات) يدل على إلحاحه وإصراره المتواصل على نيل المكارم منهم.

ب) الإنشائي غير الطلبي: هو الذي لا يشترط فيه حصول الشيء أو عدم حصوله وله صيغ مختلفة منها القسم والتعجب والمدح والذم...، ونجد من هذا النوع في القصيدة ما يلي:

1 ـ القسم: ورد القسم في بيت واحد فقط وهو:

لعمر أبي الأعداء بيني وبينها لقد صادفوا آذان سمع تجيبها [1]

نلاحظ أن الشاعر وظف أسلوب قسم واحد، ونحن نعلم أن القسم يكون له صيغ لفظية تبين أنه قسم كأن نقول(والله) أو (تالله) أو (أقسم بالله) أو أن نقول(لعمري)، والشاعر لم يذكر في قسمه اسم الله إنما استعمل لفظة (لعمر أبي) حيث وظف هذا القسم ليجزم أمرا هو يعلمه ومتأكد من صحته، فأراد إثبات أن علاقته بقريش لم تتصدع هكذا بدون أي سبب وأن هذا الخلاف بينهما لم يأتي من العدم، وإنما كان هناك عدو هو المسؤول عما حصل بين الشاعر وقومه، فدخل بينهما وقطع صلتهما لأن قوم الشاعر سمعوا لهذا العدو وصدقوه وانساقوا وراءه، والغرض من هذا القسم إثبات حقيقة وتأكيد صدق الشاعر فيما يقول.

نستنتج أن هذه الأساليب الإنشائية التي وظفها الشاعر تتميز بالتنوع والتعدد، حيث مزج بين الطلبي من أمر ونهي واستفهام ونداء، وغير الطلبي من قسم وهذا التنويع راجع إلى قدرة الشاعر وخبرته تمكنه من الجانب الفكري والبلاغي وكذا الجانب الفني الجمالي.

2 ـ الأسلوب الخبري

يعرفه الأزهر الزناد بقوله: " هو الكلام الذي يحتمل الصدق والكذب، والصدق هو الخبر عن الشيء على ما هو به، أما الكذب فهو الخبر عن الشيء لا على ما هو عليه، فالصدق

[1] . المصدر السابق، ص 68.

أن يطابق الحكم الذي تضمنه الكلام واقعا خارجه، والكذب أن لا يطابق الحكم واقعا خارجه".[1]

وقد وردت في القصيدة الكثير من الأساليب الخبرية، ساقها الشاعر من أجل تحديد المغزى والهدف من كلامه، فتنوعت بذلك الأغراض البلاغية لسرد الأساليب مستجيبة لأفكار الشاعر، فمثلا قوله:

وتفنيد قول المرء شين لرأيه وزينة أخلاق الرجال وظوبها [2]

تحدث الشاعر في البيت عن سداد الرأي والأخلاق الحسنة التي يجب أن يتحلى بها كل إنسان لأنها الصورة المثالية للفرد الصالح في المجتمع، فنسج كلامه في أسلوب خبري كان الغرض منه النصح والإرشاد.

وفي قوله:

رمتني قريش عن قسي عداوة وحقد كأن لم تدر أني قريبها [3]

في هذا الأسلوب الخبري وجه الشاعر كلامه لقومه يشتكي ظلمهم وتعسفهم معه، فقريش الذي كثيرا ما عدها من أهله الأقربين رمته بالمظالم وحقدت عليه على الرغم من ولائه لها وتفانيه في الدفاع عنها والغرض من هذا الأسلوب هو الشكوى.

وفي قوله أيضا:

بلا ثبت إلا أقاويل كاذب يحرب أسد الغاب كفتا وثوبها [4]

فهو يرسل كلامه بلهجة قوية يحذرهم فيها من اتهامه والمساس بسمعته مشبها نفسه بأسد الغابة في القوة والخطر حينما يقتضي الأمر التعرض له فكان هذا أسلوبا خبريا غرضه التهديد والوعيد.

وقال الشاعر كذلك:

وإن لكم للفضل فضلا مبرزا يقصر عنكم بالسعاة لغوبها [5]

---

[1] . الأزهر الزناد: دروس البلاغة العربية نحو رؤية جديدة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 1992، ص 101 . 102.

[2] . الكميت بن زيد الأسدي: الديوان، ص66.

[3] . المصدر نفسه: ص67.

[4] . الكميت نفسه، ص67.

[5] . المصدر نفسه، ص69.

الشاعر في البيت يؤنب القوم لأنهم قدموا الكثير لغيره خاصة الأعداء ولم يقدموا شيئا من خيرهم وعطائهم له وهو الأحق بأن يصيبهم شيء من هذا الفضل وهذا الأسيوب غرضه العتاب.

وحينما قال:

وهل يعدون بين الحبيب فراقه نعم داء نفس أن يبين حبيبها [1]

تحدث الشاعر في هذا البيت عن فراق الأحبة وما يتركه في النفس من حرقة ولوعة فالحبيب يتشوق دائما لرؤية محبوبه، والشاعر بحكم أنه مغترب فإنه متلهف للعودة إلى كنف قبيلته فكان الغرض من هذا الخبر الشوق والحنين.

وفي قوله:

ستذكرنا منكم نفوس وأعين ذوارف لم تضنن بدمع غروبها [2]

خص الشاعر بهذا الخطاب قومه محذرا ومنبها إياهم من أنه سيأتي اليوم الذي يندمون فيه عما فعلوه معه حينما طردوه، وسيعضون أناملهم ندما وحسرة لتخليهم عنه وتفريطهم في حقه، فكان غرض هذا الأسلوب التحذير والإغراء.

وعندما قال الشاعر:

بمشيتهم طالت قصار سيوفهم حفاظا إذا ما الحرب شب شبوبها [3]

كان هذا البيت موجها لإضفاء بريق الاعتزاز وإيصال فكرة مفادها أن محاربي القوم ذوو قوة وشجاعة كبيرتين، وذلك بغرض نشر الروح القتالية في أوساط المحاربين الأبطال فكان غرض هذا الخبر هو الحماسة.

أما في قوله:

قدورهم تغلي أمام فنائهم إذا ما الثريا غاب عصرا رقيبها [4]

فقد امتلأ هذا البيت بمعاني الفخر فوضع الشاعر الكرم كصفة متأصلة في عمق شخصية القبيلة (قريش)، وحتى يبرز أنهم مهما فعلوا معه فلا يمكن إنكار أخلاقهم

[1] . المصدر السابق، ص70.

[2] . المصدر نفسه، ص77.

[3] . المصدر نفسه، ص75.

[4] . المصدر نفسه، ص 75.

وعاداتهن الطيبة وكرمهم وجودهم وسخائهم الذي يعم كل الناس، فجاء هذا الأسلوب خبريا غرضه الفخر.

من خلال ما سبق نفهم أن استعمال الأسلوب الخبري ضرورة لازمة في كل عمل فني فالغاية الأولى للخبر هي إيصال الفكرة، أما نوع الخبر المستخدم من طرف المتكلم فيتوقف على نفسية المتكلم وحال المتلقي.

ثالثا- الصورة الشعرية

يحاول الشاعر التأثير بقصيدته على المستمعين وإقناعهم بما يقول، وله في ذلك سبل متعددة، وهذا حسب طبيعة الموضوع المتناول، وحال ونوعية المتلقي، فكان للصورة الشعرية دور مهم في نقل وتوضيح ما يصبو إليه الشاعر، فمادام الشعر هو ترجمة للشعور فإن صورته هي المرآة التي تعكس ذلك الشعور وتعطيه سمة الصدق أو الكذب كما تفعل ما تريد بالوجدان، وذلك لما للخيال من وقع فقد" أصبح الخيال في مجاله الفني. ذا مكانة تفوق قوى العقل الأخرى".[1]

لهذا استعمل الشعراء الخيال وكان أولى محركات الصناعة الشعرية.

ومن أهم المصطلحات النقدية التي أشار إليها النقاد العرب قديما، الصورة أو الصورة الفنية في الشعر، فذكر الجاحظ مصطلح التصوير عندما قال: " الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير".[2] فالشعر عنده من الفنون التصويرية التي يعمد فيها الشاعر إلى تصوير أحاسيسه ومشاعره وكل ما يراه في الوجود.

وذكر قدامة بن جعفر الصورة في قوله: " إن المعاني كلها معروضة للشاعر، وله أن يتكلم منها ما أحب وآثر من غير أن يخطر عليه معنى يروم الكلام فيه، إذا كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعية، والشاعر فيها كالصورة، كما يوجد في كل صناعة من أنه لابد فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصورة فيها، مثل الخشب للنجارة والفضة للصياغة".[3]

---

[1] . محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، ص 390.

[2] . الجاحظ: الحيوان، تح وشر: عبد السلام محمد هارون، ج3، مطبعة مصطفى الباجي الحلبي وأولاده، مصر، ط 2، د ت، ص 132.

[3] . قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تح: عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 65.

وعرفها النقاد المحدثون كذلك منهم عبد القادر القط في قوله: " هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستخدما طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد وغيرها من وسائل التعبير الفني".[1]

والصورة في أبسط معانيها وأوضحها ذكرها سيسيل دي لويس بقوله: " رسم قوامه الكلمات المشحونة بالإحساس والعاطفة".[2]

فالصورة الشعرية تعد أهم عناصر العمل الأدبي، ومن خلالها تتجلى المواطن الجمالية في الشعر، وتتشعب في عمومها إلى عدد من الأقسام منها: التشبيه، الاستعارة، الكناية المجاز التي تساهم في توضيح المعنى وتجسيده وتقويته.

والصورة الشعرية عند الكميت تنهل من مصادر ثلاثة وهي" عصر ما قبل الإسلام بمقدرته اللغوية والشعرية، والإسلام بما يحمل من قيم وتقاليد جديدة، وتقاطع الحياة الأموية بميادينها المختلفة، فالصورة الفنية عند الكميت أفادت من كل ذلك، معتمدة التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية ...".[3]

1 ـ التشبيه

إذا أراد الشاعر تقريب الصور من بعضها البعض أو وضع شبكة علاقات خيالية بين الأشياء فإنه يلجأ إلى التشبيه في كثير من الأحيان لأنه الأسهل والأكثر قدرة على تقوية النسيج الشعري، ويعرف التشبيه بأنه " صورة تقوم على تمثيل شيء(حسي أو مجرد) بشيء آخر(حسي أو مجرد) لاشتراكهما في صفة (حسية أومجردة) أو أكثر".[4]

وقد اعتمد الكميت في هذه الملحمة بعض التشبيهات التي جاءت في مقامات ملائمة كما أنها نبعت من الوضع النفسي الذي عاشه الشاعر، فرغم قلة هذه التشابيه مقارنة بحجم القصيدة إلا أنها استطاعت أن تحقق توازنا بين الأفكار والمعاني، وخلقت نوعا من الجمال

[1] . عبد القادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الشباب، د ب، د ط، 1988، ص 391.

[2] . سيسيل دي لويس: الصورة الشعرية، ترج: أحمد نصيف جناني وآخرون، مراجعة: عناد غزوان إسماعيل، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الصفاة، الكويت، د ط، 1982، ص 21.

[3] . عباس عبيد الساعدي: الصورة الفنية في شعر الكميت بن زيد الأسدي، مجلة أهل البيت، العدد 04، د ت، ص175.

[4] . يوسف أبو العدوس: التشبيه والاستعارة، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط 1، 2007، ص 15.

الفني وأدت وظيفة بلاغية تمثلت في تقوية التلازم المطلوب بين الخيال والواقع ومن التشابيه التي وظفها الشاعر نذكر:

ولم أر قول المرء إلا كنبلة به وله محرومها ومصيبها[1]

المشبه: قول المرء.

المشبه به: النبلة.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: محرومها ومصيبها.

جاء هذا التشبيه كامل الأركان(مرسل مفصل)، حيث ذكر الشاعر كل عناصر التشبيه، فأراد هنا أن يوضح العلاقة الدقيقة بين النبل والكلمة، خصوصا ونحن نعرف مدى اعتزاز العربي قديما بكلمته والتي كانت تعكس شخصية الفرد.

ففي هذا البيت وضع الشاعر النبل مرادفا للفظ، ذلك لتشابه وقعهما وتأثيرهما، فكما النبل قد يصيب وقد يخطئ، كذلك الحال بالنسبة للكلمة فقد تصيب إذا قيلت في موضع صدق وقد تخطئ إذا قيلت في موضع كذب، غير أن للكلمة آفاق أخرى تتمثل في الاستعذاب والنفور؛ فإنها تستميل النفوس إذا كانت في محل مدح، وتنفرها إذا كان في محل ذم.

وقال أيضا:

وللأبعد الأقصى تلاع مريعة أقام بها مثل السنام عسيبها [2]

المشبه: الأبعد الأقصى (العدو).

المشبه به: السنام.

أداة التشبيه: مثل.

استخدم الشاعر هذا التشبيه(المرسل) لتوضيح مدى عنصرية قومه؛ إذ كانوا شديدي اللين مع الأعداء وشديدي القسوة معه، رغم أنه منهم فحصل ذلك البعيد (العدو) على أثمن

[1] . الكميت بن زيد الأسدي: الديوان، ص 65.

[2] . المصدر نفسه، ص 67.

الأشياء وأرقى المكانات من غير جهد ولا تعب في حين جرد أهل الدار من أبسط وأهون الحقوق في وقت كانوا هم الأولى بتلك الأشياء.

فقد وضع الشاعر لكل شيء ما يدل عليه، فمثل للعدو بـ" الأبعد الأقصى" ودل على المكاسب الثمينة بـ " التلاع المريعة" مع تغييب تام لشخصه في هذا التشبيه ليوحي بذلك إلى كثرة المظالم.

ومن قوله في التشبيه أيضا:

أفي كل أرض جئتها أنا كائن لخوف بني فهر كأني غريبها[1]

المشبه: الشاعر (أنا).

المشبه به: الغريب.

أداة التشبيه: كأن.

شبه الشاعر في هذا التشبيه(المرسل) نفسه بالغريب في أرضه، بعدما كان يحظى بينهم بالعيش الكريم والمقام الرفيع والحياة الهنيئة، حتى وجد نفسه بين ليلة وضحاها مبعدا مهمشا منسيا، فكان هذا التشبيه مؤشرا على تصدع الثقة بين الشاعر وقومه؛ إذ أصبح يشكل لهم مصدر إزعاج وخطر، ما جعله يخشى على نفسه منهم نظرا لمعاملتهم القاسية له.

ولم يتوقف الشاعر عند هذا الحد من التشبيهات بل واصل في سلسلة التشبيه على شاكلة ما وجدنا في قوله:

لتتركنا قرب لؤي بن غالب كسامة إذ أودت وأودى عتيبها [2]

المشبه: الشاعر وقومه.

المشبه به: سامة.

أداه التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الأود (الطرد).

هذا التشبيه(مرسل مفصل) شبه فيه الشاعر علاقته هو وقومه بالعلاقة بين سامة وقبيلته التي طردته، فقد أعطى لنا حالة مشابهة لحالته فكلاهما طرد من القبيلة وكلاهما أبعد وغرب لنفس المشكلة، فوضعنا أمام عنوان كبير هو العقوبة والطرد وتفكك أواصر

[1] . المصدر السابق، ص 68.

[2] . الكميت بن زيد الأسدي: الديوان، ص 70.

القرابة وهذا تهديد صريح للقوم ونداء موجه إلى القبيلة يطالبهم من خلاله بتغيير نمط معاملتهم له وإعطائه قيمته الحقيقية.

وقوله:

قواطن بيت الله هن حمامه بزمزم يوم الورد يلقى مهيبها [1]

المشبه: قواطن بيت الله.

المشبه: الحمام.

وهو تشبيه مجمل ذكر فيه المشبه والمشبه به في حين حذف الأداة ووجه الشبه، حيث أراد الشاعر أن يشبه نساء قريش بالحمام وذلك لتطابق صفات الحمام على نساء قومه، من جمال وحسن وغالبا ما كانت تشبه المرأة العربية قديما بطيور يألفها الإنسان ويستأنس بها.

إن التشبيه من الأركان الأساسية في البلاغة العربية؛ إذ اعتمد عليه الشعراء في تقريب الصور وتوضيح المعاني، وهو يستلزم الدقة وحسن التوظيف وهذا يتطلب قوة الإبداع والمهارة الفنية الفائقة .

2 ـ الاستعارة

يهدف الشاعر دائما إلى إبراز معانيه في أجمل حلة ممكنة مع ملائمة جانب المعنى لجانب الجمال، فقد يسبح في الخيال كما قد يتحرى الواقع، والمزج بينهما يستدعي قوة الخيال والصدق معا، لذلك نجد الاستعارة إحدى أهم سبل نثر المجازات على الشعر، وتعرف الاستعارة على أنها " مجاز علاقته المشابهة أو هي تشبيه حذف منه ركناه: أداة التشبيه ووجه الشبه، ثم حذف: إما المشبه أو المشبه به، وقامت قرينة على هذا المحذوف".[2]

وقال السكاكي في تعريفها: " حدها عند بعضهم: تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإنابة".[3]

من هنا نفهم أن الاستعارة نقلت من موضعها الأصلي إلى موضع آخر لتدل على معنى جديد لها علاقة به فينتقل المعنى معها، والاستعارة نوعان:

---

[1] . المصدر السابق، ص 72.

[2] . الشيباني (أبو زكرياء يحي بن علي): الكافي في العروض والقوافي، تعليق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، د ت، ص 09.

[3] . السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر): مفتاح العلوم، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1983، ص 384.

أ) **الاستعارة المكنية:** هي التي يذكر فيها المشبه ويحذف المشبه به ويدل عليه بقرينة تخصه وقال عنها السكاكي: " هل كما عرفت أن تذكر المشبه، وتريد به المشبه به دالا على ذلك بنصب قرينة تنصبها، وهي أن تنسب إليه وتضيف شيئا من لوازم المشبه به المساوية".[1]

يعتبر هذا النمط من الأدوات الهامة لدى الشاعر لتقريب الصور، إذ تناوله الكميت في ملحمته في مواضع عدة لملائمته للحدث المعبر عنه ومن ذلك قوله:

رأيت ثياب الحلم وهي مكنة لذي الحلم يعرى وهو كاس سليبها [2]

جاءت الاستعارة في قوله:(رأيت ثياب الحلم)، حيث شبه الشاعر الحلم بإنسان له ثياب فحذف المشبه به(الإنسان) وترك قرينة دالة عليه(الثياب) وذكر المشبه(الحلم) على سبيل الاستعارة المكنية.

يريد الشاعر هنا أن يبين قيمة العقل ومنزلة العقلاء وما يتمتعون به من قيم ومحاسن أخلاقية أبرزها التواضع، والابتعاد عن النفاق فجمعها الشاعر في بيته هذا ليحث على لزوم إعطاء كل ذي عقل حقه.

واصل الشاعر استغلال الاستعارة المكنية مدعما بذلك قوة معاني القصيدة فقال:

إذا نبتت ساق من الشر بيننا قصدتم لها حتى يجز قضيبها [3]

هنا شبه الشاعر(الشر) بشجرة لها ساق فذكر المشبه(الشر) وحذف المشبه به(الشجرة) وترك قرينة دالة عليه(ساق)، فهو يريد إيصال فكرة نمو الشر مثل النبات إذا وجد الظرف الملائم، وها قد وجد الشر التربة الخصبة لنموه وهي حقد وكره قوم الشاعر له، كما وجد من يعتني به حتى يستمر في النمو وهم أبناء قبيلته(قريش)، ليضع صورة شعرية دقيقة للعلاقة بينهما.

وقال كذلك:

ولم أر باب الشر سهلا لأهله ولا طرق المعروف وعثا كثيبها [4]

---

[1] . المصدر السابق، ص 378 ـ 379.

[2] . الكميت بن زيد الأسدي: الديوان ، ص 66.

[3] . المصدر نفسه، ص 70.

[4] . المصدر نفسه، ص 66.

شبه الشاعر الشر ببيت له باب أي أنه شبه المعنوي بالمادي فحذف المشبه به(البيت) وترك قرينة دالة عليه(الباب) وذكر المشبه(الشر) كانت استعارة دقيقة فعند تجسيد المعنويات وذكرها كأشياء محسوسة نلمس قدرة الشاعر الكبيرة على التصوير الشعري وعلى نقل المعاني المعنوية إلى المعاني المادية وهنا تكمن قوة الصناعة.

ب) الاستعارة التصريحية: هي نمط آخر من أنماط الاستعارة تأتي حاملة معها وهجا بلاغيا براقا " فهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به أو أستعير فيها لفظ المشبه به والأديب يستغني في الاستعارة التصريحية عن كل أركان التشبيه فيما عدا المشبه به".[1]

جاء هذا النوع من الاستعارة في ملحمة الكميت بالقدر الذي أدى مهمته المعنوية والجمالية بدقة فهو سارع إلى ذكر المشبه به نظرا لقرب الشبه بينه وبين المشبه وهذا نابع من دوافع نفسية عاشها الشاعر فقال:

وإن لم يكن إلا الأسنة مركب فلا رأي للمحمول إلا ركوبها [2]

جاءت الاستعارة في قوله(وإن لم يكن إلا الأسنة مركب) حيث شبه الحرب بالأسنة(الرماح) فحذف المشبه(الحرب) وذكر المشبه به(الأسنة) على سبيل الاستعارة التصريحية.

وتكمن قوة هذه الاستعارة في ذكر ما يتصل بالحرب وهي الرماح حتى يبرز أن الحرب فيها الشدائد والمصاعب فقط ومن يخوضها يجب أن يكون قادرا عليها ومستعدا ماديا ونفسيا لها.

ومن خلال هذا نفهم أن هذه الاستعارة لديها تأثير نفسي على السامع وتفرض عليه إعمال فكره حتى يصل إلى عمق المغزى منها.

وتتجلى الاستعارة التصريحية كذلك من خلال قول الكميت:

يشوبون للأقصين معسول شيمة فأنى لنا بالصاب أنى مشوبها [3]

تكمن الاستعارة التصريحية في قوله(يشوبون للأقصين معسول شيمة) حيث قام الشاعر بتشبيه معاملة قريش للغرباء بـ(العسل) فحذف المشبه(المعاملة الحسنة) وذكر المشبه به(العسل) فكان لها من الأثر الكبير، فهو يعرف ما لهذه المادة(العسل) من قيمة وكم هو صعب الحصول عليها لكن قريشا أعطت أجود ما عندها للغريب وبخلت القريب.

---

[1] . عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية (في البيان)، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 173.

[2] . الكميت بن زيد الأسدي: الديوان، ص 71.

[3] . المصدر نفسه، ص 71.

وعندما نتمعن في استعارة تصريحية أخرى في قوله:

لهاميم أشراف بهاليل سادة إذا السنة الشهباء عم سغوبها [1]

نجد أن الشاعر ذهب مباشرة إلى ذكر المشبه به(لهاميم، بهاليل) وحذف المشبه (القوم) على سبيل الاستعارة التصريحية، إذ عبر بهذا عن شدة فخره واعتزازه بهؤلاء القوم فانتقى لهم أحسن التعابير.

بهذا يكون الشاعر قد تمكن من إتقان التعامل مع الاستعارات ووضعها في مكانها اللائق بها، فقوت المعاني وأضفت الرونق على الأبيات.

3 ـ الكناية

عندما نتحدث عن الشعر فإننا نذكر دائما الخيال وتفرعاته، والصور الشعرية وأنواعها والكناية باعتبارها واحدة من تلك الصور فإنها ترد في الأشعار مثلما نجده في قصيدة الكميت التي حفلت ببعض أنواع الكنايات إن لم نقل كلها، وذلك لانسجام طبيعتها مع الفن الشعري.

" والكناية ـ كما عرفها القزويني ـ لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ".[2]

هكذا تكون الكناية كلام نابع من الحقيقة ويلامس الخيال وهي أنواع: كناية عن صفة كناية عن موصوف وكناية عن نسبة.

وقد مر الكميت على هذه الأنواع في قصيدته فألبسها ثوبا واقعيا ملونا بالمجاز .

أ) الكناية عن صفة: من الكنايات التي ذكرها قوله:

وأصبحت من أبوابهم في خطيطة ولا ذنب الأبواب مرت جذيبها [3]

في هذا البيت جاءت الكناية في قوله(وأصبحت من أبوابهم في خطيطة)، وهي كناية عن صفة أراد بها صفة الشقاء والمعاناة بعد أن أوصدت القبيلة أبوابها في وجه الشاعر ليفتح أمامه باب آخر هو باب التشرد والمعاناة والضياع.

ومن أمثلة الكناية كذلك نذكر قوله:

ملأتم حياض الملحمين عليكم وآثاركم فينا تضب نذوبها [4]

---

[1] . المصدر السابق، ص 74.

[2] . عبده عبد العزيز قلقيلة: البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، مكتبة لسان العرب، القاهرة، ط 3، 1992، ص 100.

[3] . الكميت بن زيد الأسدي: الديوان، ص 67.

[4] . المصدر نفسه، ص 68.

وضع الشاعر كناية عن صفة في الشطر الثاني من البيت فعندما قال:(وآثاركم فينا تضب نذوبها) أراد بهذا نقل صفة الظلم الذي تعرض له الشاعر من قبل قومه، فهو لم يذكر الظلم مباشرة ولكن أشار إليه بكناية استطاعت أن توصل تلك الصفة إلى الألباب بأحسن وقع.

ونلمس وقع الكناية عن صفة كذلك في قول الشاعر:

بمشيتهم طالت قصار سيوفهم حفاظا إذا ما الحرب شب شبوبها [1]

هنا الكناية عن صفة جاءت في قوله:(بمشيتهم طالت قصار سيوفهم) إذ لخص صفة الشجاعة في مشية الأبطال التي يتصفون بها فشخصية الشجعان القوية تجعل العدو يفقد توازنه حتى ولو كان ذو سلاح فتاك وذو بطش شديد، ومن ذلك نفهم أن قوة الشخصية هي بحد ذاتها سلاح يجب امتلاكه واستعماله عندما تستدعي الضرورة في وقت المواجهات الصعبة.

ب) الكناية عن موصوف: اشتملت القصيدة على بعض الكنايات عن موصوف كما في قوله:

بلا ثبت إلا أقاويل كاذب يحرب أسد الغاب كفتا وثوبها [2]

جاءت الكناية في قوله:(يحرب أسد الغاب)، فهو ذكر أسد الغاب والمقصود هنا موصوف وهو(الشاعر) الذي شبه نفسه بأسد الغاب وتحمل هذه الكناية معاني الفخر والاعتزاز والتهديد والوعيد، وكأنه يقول لهم أنهم يبحثون عن المصائب أينما وجدت بتعديهم عليه وأنهم سوف ينالون عقابهم، فالشاعر لديه حق في الدفاع عن نفسه واسترجاع حقوقه المسلوبة.

ومن الكناية عن موصوف أيضا قوله:

مغاوير أبطال مساعير في الوغى إذا الخيل لم تثبت وفر أريبها [3]

فالموصوف هنا هم المحاربون الذي وضع الشاعر مكانهم صفتي(المغاوير الأبطال) أو بالأحرى وصفهم بالمغاوير، فهو حذف اسم المحاربين(الموصوف) وذكر المغاوير

[1] . المصدر السابق، ص 74.

[2] . المصدر نفسه، ص 67.

[3] . المصدر نفسه، ص 75.

للدلالة على قوتهم وعزيمتهم وإقدامهم في الوغى ما جعل المعنى يأخذ منحى مجازيا مشبعا بالحقيقة لأن الشاعر يستمد معاني أبياته من واقعه الذي عاشه.

ج) **الكناية عن نسبة:** لم يستعمل الشاعر هذا النوع من الكناية كثيرا، لأنه نسب الصفات إلى موصوفيها مباشرة في أغلب الأحيان، فنادرا ما نجد الكناية عن نسبة في هذه القصيدة ومن بينها نذكر قوله:

عليهم ثياب النضر وابنيه مالك وفهر صحاح لم يدنس قشيبها [1]

هنا ذكر الثياب وهي شيء ينسب إلى لابسها ولم يذكر صاحب الثياب، كأن الثياب تحمل نفس مجد وأخلاق وسمعة ذلك الشخص(النضر) وهذا يعد من روعة البلاغة خصوصا لما يتقن الشاعر نقل الصفات والمعاني من شيء إلى شيء مع الحفاظ على مدلولها ومعناها.

4 ـ المجاز

تجول الشاعر في مختلف ضروب البلاغة وكان المجاز من بين هذه الضروب التي تناولها، فكانت له وقفة معه إذ هو" الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالا في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة من إرادة معناها في ذلك النوع".[2]

وبقراءتنا للقصيدة كانت لنا وقفة عند الأبيات التي ورد فيها المجاز ومن بينها:

رمتني قريش عن قسي عداوة وحقد كأن لم تدري أني قريبها [3]

كان المجاز المرسل في قول الشاعر(رمتني قريش)، والأصح أنه ليست كل قريش ترمي بالعداوة فذكر الشاعر الكل وهم(قريش) التي كانت أم القبائل العربية لكن المقصود من كلامه هم(بعض أفراد قريش)، وعلاقة هذا المجاز هي الكلية.

فاستخدم الشاعر هذه العلاقة(الكلية) لإبراز انفعاله والتعبير عن غضبه، فقد تحكمت المشاعر التي أحسها الشاعر في إيراد هذا النوع من المجاز وفي ذلك تعبير جلي عن حزنه لأنه لم يجد مساندة من طرف أبناء قومه.

كما تبرز علاقة أخرى للمجاز في هذا البيت الذي يقول فيه:

---

[1] . المصدر السابق، ص 74.

[2] . السكاكي: مفتاح العلوم، ج 2، ص 392.

[3] . الكميت بن زيد الأسدي: الديوان، ص 66.

فلن تجد الآذان إلا مطيعة لها في الرضا أو الساخطات قلوبها [1]

ورد المجاز في قوله:(فلن تجد الآذان إلا مطيعة) وعلاقته الجزئية، حيث ذكر الشاعر الجزء (الآذان) وهو يقصد بها(عقل الإنسان) ونحن نعلم أن الآذان لا تطيع أنما هي هي تسمع وتستقبل الأصوات والذي يطيع الأوامر وينفذها هو العقل البشري، وأراد الشاعر القول أن هؤلاء الناس يستجيبون لكل ما يسمعون فبمجرد أن يتلقون الخبر حتى تجدهم ينساقون وراء الأهواء دون التفكير بالعواقب.

استخدم الشاعر علاقة أخرى في قوله:

قطعتم لساني عن عدو تنالكم عقاربه تلذاغها وذبيبها [2]

هنا ذكر الشاعر المجاز حين قال(قطعتم لساني)، ولم يقل لم تتركوني أتكلم حين ذكر أهم أداة للنطق والكلام وهي (اللسان)، فهذه العلاقة هي(الآلية) يريد الشاعر من خلال ذكرها أن يتكلم عن لب الموضوع فقوله قطعتم لساني معناها أنهم حرموه من الكلام والتعبير عن موقفة وفكرته و رأيه معتبرا هذا التصرف عير لائق في حقة ما جعله يشعر بالإهانة والاحتقار.

وقال الشاعر كذلك في المجاز:

ولم أجهل الغيث الذي نشأت به ولم أتضرع أن يجيء غضوبها [3]

المجاز هنا جاء في قوله(لم أجهل الغيث) وهو هنا لا يريد بالغيث المطر وإنما أراد بها الخير والرخاء والرفاهية التي حظي بها بين بنو قومه والعيش الرغيد والعطاء الواسع التي تمنحه قريش لأفرادها وأبنائها، وذكره لكلمة(الغيث) هنا تعني أنها مقترنة بالخير فالمطر سبب النمو والتكاثر فحذف(الخير) وذكر سبب من مجيئه ألا وهو الغيث فالعلاقة هما هي(السببية)، وهذا يدل على تناول الشاعر لموضوعه بدقة واختياره لما يقول بعناية.

بعد عرضنا لهذه المجازات تبين لنا أنها أدت مهمتها بنجاح شأنها في ذلك شأن غيرها من أقسام الصورة الشعرية، حيث ساهمت في توضيح المضامين فضلا عن إثراء الجانب الجمالي للقصيدة، وذلك من خلال دعم وتقوية النسيج الشعري.

---

[1] . المصدر السابق، ص 68.

[2] . المصدر نفسه، ص 69.

[3] . المصدر نفسه، ص 67.

رابعا- الموسيقى الشعرية

تعد الموسيقى الشعرية عنصرا أساسيا من عناصر الشعر العربي إذ يرتبط بها هذا الأخير ارتباطا وثيقا ولا يكاد ينفصل عنها، حيث يعتمد عليها الشاعر كمقياس أساس لتحديد التوازن والملائمة بين عواطفه والموضوع الذي يتناوله في شعره، يقول كمال أبو ديب: " والشعر أحد الفنون الجميلة التي تخاطب العاطفة وتستثير الوجدان... لما فيه من الموسيقى التي تطرب الأسماع وتصل ألفاظه إلى القلوب قبل أن تصل إليه معانيه".[1]

والموسيقى تنقسم إلى قسمين: أحدهما يتعلق بالأوزان والقوافي وتسمى بالموسيقى الخارجية، والآخر يتجلى في الألفاظ والمعاني ولأصوات وهي ما يعرف بالموسيقى الداخلية التي تظهر من خلال ما تحدثة عناصرها من إيقاعات وأنغام وأجراس تقع في نفس المتلقي فتطربه وتهز وجدانه، فالموسيقى هي أهم ما يميز الشعر عن سائر الفنون الأخرى، فهي ليست سوى بهرج أو زينة خارجية تجمل النص الشعري، إنما هي أيضا أداة للتعبير والإيحاءات المختلفة التي تكمن في النفس يقول إبراهيم أنيس: " للشعر نواحي عدة للجمال لكن أسرعها إلى نفوسنا ما فيه من جرس الألفاظ وانسجام في توالي المقاطع وتردد بعضها بقدر معين، وكل هذا هو ما نسميه بموسيقى الشعر".[2]

1 ـ الموسيقى الخارجية

يشمل هذا النوع من الموسيقى عددا من العناصر التي تمثل أساس الشعر ولا يمكن أن تخلوا منه قصيدة من القصائد وبدونها لا يمكن إطلاق مصطلح شعر أو قصيدة على أي كلام فالشعر الذي لا يكون موزون مقفى ليس بشعر ولذلك اشترط أغلب النقاد القدامى الوزن والقافية في الشعر يقول ابن طباطبا: " إذا أراد الشاعر بناء قصيدة مخض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثرا و أعد له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه والقوافي التي توافقه، والوزن الذي يسلس له القول عليه، فإذا اتفق له بيت يشاكل المعنى

[1] . كمال أبو ديب: في البنية الإيقاعية للشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1،1974، ص 131.

[2] . إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، مكتبة أنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، د ب، ط 2، 1952، ص 7 ـ 8.

الذي يرومه أثبته وأعمل فكره في شغل القوافي بما تقتضيه من المعاني على غير تنسيق للشعر وترتيب لفنون القول فيه".[1]

ويمكن أن نستخلص عناصر الموسيقى الخارجية من قصيدة الكميت على النحو الآتي:

أ) الوزن

وهو أول عنصر من عناصر الشعر وأهمه وهو عبارة عن بحر تبنى عليه القصيدة كاملة يتكون من تفعيلة واحدة أو مجموعة من التفعيلات في كل شطر، وهذه التفعيلات قد تكون ثابتة وقد تطرأ عليها تغيرات، ويعرف الوزن بأنه " البحر الذي ينظم عليه الشاعر قصيدته أو مقطوعته الشعرية أو هو مجموعة من الأزمنة المتكررة التي يتألف منها البيت والتي عرفت بالتفعيلات " [2]

فالوزن إذا هو البحر الذي ينظم فيه الشاعر شعره، وهناك من بحور الشعر خمسة عشر بحرا جاء بها الخليل بن أحمد ويمكن للقصيدة الواحدة التي تجمع بين بحرين أو أكثر حسب رغبة الشاعر، ولمعرفة البحر أو الوزن الذي استعمله الكميت في قصيدته لابد أن نقوم بتقطيع عدد من الأبيات ما إذا كان قد اعتمد بحرا واحدا أو مزج بين عدة بحور.

ألا لا أرى الأيام يقضى عجيبها	بطول ولا الأحداث تفنى خطوبها
ألا لا أر لأيام يقضى عجيـبها	بطولن وللأحداث تـفنى خطـوبها
0//0//0/0//0/0//0/0//	0//0//0/0//0/0//0/0//
فعولن مفاعلن فعولن مفاعلن	فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن
وتفنـيد قول المرء شيــن لرأيته	وزيــنة أخـلاق الرجال وظــوبها
وتفنيد قــول لمرء شينن لرأيهي	وزيــنة أخلاق ررجــال وظوبـها
0//0//0/0//0/0//0/0//	0//0///0// 0/0/0// //0//
فعولن مفاعيلن فعوان مفاعلن	فعول مفاعيلن فعول مفاعلن
وبادرها دفـء الكنيف ولم يعن	على الضيف ذي الصحن المسن حلوبها
وبادرها دفـء لكنيف ولم يعن	عل ضضيف ذ صصحن لمسنن حلوبها

[1] . ابن طباطبا العلوي: عيار الشعر، شر وتح: عباس عبد الساتر، مراجعة: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 2005، ص 11.

[2] . السعيد الورقي بيومي: لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط 3، 1984، ص 159.

0//0///0//0/0/0///0/ 0/0// /0// 0/0/0// 0/0//

فعول مفاعيلن فعول مفاعلن فعولن مفاعيلن فعول مفاعل

من خلال تقطيعنا لبعض الأبيات تبين لنا أن الشاعر اعتمد بحرا واحدا م بداية القصيدة إلى نهايتها وهو بحر الطويل ومفتاحه:

طويل له دون البحور فضائل فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

وهو من أكثر البحور الشعرية رواجا وانتشارا وكثيرا ما ينظم فيه الشعراء يقول إبراهيم أنيس: " ليس بين بحر الشعر ما يضارع البحر لطويل في نسبة شيوعه، فقد جاء ما يقرب ثلث الشعر العربي القديم من هذا الوزن" [1]

وهذا البحر يتكون من تفعيلتين أساسيتين هما فعولن ومفاعيلن تتكرر كل منهما مرتين في كل شطر أي أربع مرات في كل بيت، كما نلاحظ أن هذه التفعيلات قد طرأت عليها بعض التغيرات مثل (فعولن) أصبحت(فعول) حذف فيها الحرف الخامس الساكن (القبض)، و(مفاعيلن) أصبحت(مفاعلن) بحذف الخامس الساكن، وأصبحت أيضا(مفاعل) بحذف الخامس الساكن والسابع الساكن(القبض والكف) كما نلاحظ تكرار بعض الحروف مثل اللام والهاء التي تبعث وقعا متناسقا داخل القصيدة، كما أن هذا البحر من أكثر البحور ملائمة للتعبير عن حالة الشاعر النفسية من ألم وشكوى وعتاب.

ب) القافية

تعتبر القافية ثاني عنصر من عناصر الموسيقى الخارجية وهي عبارة عن مقطع ينتهي به كل بيت من الأبيات الشعرية، كما أنها عامل أساس في بناء القصيدة العربية " ليست القافية إلا عدة أصوات تتكون في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة وتكررها هذا يكون جزءا هاما من الموسيقى الشعرية، وهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة ". [2]

وتعرف القافية بأنها " شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى شعرا حتى يكون له وزنا وقافية ".[3]

---

[1] . إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، ص57.

[2] . المرجع نفسه، ص 244.

[3] . حسن عبد الجليل يوسف: موسيقى الشعر العربي، دراسة فنية عروضية، ج 1، الهيئة المعرفية العامة للكتاب، د ب، د ط، 1989، ص 93.

والقافية نوعان، مطلقة في حال ما إذا كان حرف رويها متحركا، ومقيدة إذا كان حرف رويها ساكنا. ومن خلال معرفتنا لأن القافية تتكون من الساكنين الأخيرين في البيت مع المتحرك الذي قبل الساكن الأول سنتبين نوع القافية وشكلها في هذه القصيدة .

وبادرها دفـء الكنيف ولم يعن على الضيـف ذي الصحن المسن حلوبها

وبادرها دفـء لكنيف ولم يعن عل ضضيف ذ صصحن لمسسن حلوبها

0//0// /0// 0/0/0// 0/0// 0//0// /0// 0/0/0// /0// //0//

والقافية في هذا البيت هي: لوبها (/0//0)

والقافية في هذه القصيدة مطلقة لان حرف رويها متحرك، وقد وظف الشاعر هذا النوع من القافية لأنها مناسبة للأغراض التي نظم فيها، فهو من خلالها يمكنه التعبير عن كل ما يختلج في نفسه من مشاعر وأحاسيس، كما أنها أضفت نغما موسيقيا عذبا تستحسنه الأسماع.

ج) الروي

هو أهم حرف في القصيدة لديه أهمية جمالية ومعنوية، حيث يلتزمه الشاعر طول القصيدة فيحدث جرسا موسيقي مجلجل، يعرفه ابن الذهان بقوله: " هو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة فيقال قصيدة لامية أو ميمية ".[1]

ويقول إبراهيم أنيس: " و أقل ما يمكن أن يراعى تكرره، وما يجب أن يشترك في كل قوافي القصيدة ذلك الصوت الذي تبنى عليه الأبيات ويسميه أهل العروض بالروي، فلا يكون الشعر مقفى إلا بأن يشمل على ذلك الصوت المكرر في أواخر الأبيات، وإذا تكرر وحده ولم يشترك مع غيره من الأصوات عدت القافية حينئذ أصغر صورة ممكنة للقافية الشعرية".[2]

أهم ما يميز حرف الروي هو تكرره في جميع الأبيات من بداية القصيدة إلى نهايتها وليس كل حرف يكون في أخر البيت رويا لأنه يشترط في حرف الروي أن يكون حرفا أصليا في الكلمة ولا يصح أن يكون حرف من حروف العلة ولا ضميرا متصلا وليس بنون التنوين ولا لام نسبة ...، وحرف الروي في هذه القصيدة هو(الباء) وهو هنا الحرف الأصلي

[1] . ابن الدهان النحوي أبو محمد سعيد بن المبارك بن علي: الفصول في القوافي، تح: صالح بن حسن العايد، دار إشبيليا، د ب، ط 1، 1998، ص 48.

[2] . إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، ص 245.

الصحيح لأن الهاء التي بعدها هي ضمير متصل يعود على قريش والألف هي ألف المد وقد صنف النقاد حرف الباء ضمن الحروف التي تأتي رويا بكثرة إلى جانب حروف أخرى كالراء والميم...، " ويمكن أن تقسم حروف الهجاء التي تقع رويا إل أقسام أربعة حسب نسبة شيوعها في الشعر العربي:

ـ حروف تجيء رويا بكثرة وإن اختلفت نسبة شيوعها في أشعار الشعراء وتلك هي: الراء اللام الميم النون الباء والدال...".[1]

وقد ورد حرف الباء رويا في هذه القصيدة لأنه من الحروف القوية الرنانة التي تتميز بشدة الانفجار، فهو حرف يخرج من الشفتين بعدما ينطبقان مع بعضهما البعض وما إن ينفصلان حتى ينفجر ما هو مكبوت في النفس مع حدوث صوت مدوي، ما يمنح للشاعر متنفسا للتعبير عن حالته النفسية المضطربة وإيصال صوته إلى مسامع من يريد إبلاغهم بحاله، كما يساهم هذا الحرف . الروي . في تنسيق القافية وبناء موسيقى القصيدة وطبعها بطابع انفعال الشاعر المتلون وهو يشكو ويفخر ويعاتب ة يتوعد.

2 ـ الموسيقى الداخلية

الموسيقى الداخلية ترتبط بالمشاعر والأحاسيس والعواطف تتجلى من خلال الألفاظ والمعاني والعبارات التي يحتويها النص الشعري والتي تحدث نغما وإيقاعا موسيقيا رفيعا، إذ يعرفها عز الدين إسماعيل بقوله: " هي ذلك النغم الخفي الذي تحسه النفس عند قراءتها للآثار الأدبية الممتازة شعرا ونثرا، فهي التي يحاول فيها الشاعر أن يخلق نوعا من التوافق النفسي بينه وبين العالم الخارجي عن طريق ذلك التوقيع الموسيقي".[2]

ويقول ابن طباطبا: " والمراد بالموسيقى الداخلية هنا هي موسيقى العواطف والمشاعر التي توحي بأجراس الرنين المتناسبة مع صدقها، وتبرز للسامع من خلال الفكرة والألفاظ والتراكيب(...) وهذه الموسيقى الداخلية هي الوحدة التي تحرك الوجدان وتهز المشاعر وتبعث الفكر وتوسع الخيال".[3]

---

[1] . المرجع السابق، ص 46.

[2] . عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، د ب، ط 3، د ت، ص 124.

[3] . ابن طبا طبا العلوي: عيار الشعر، ص 12.

وبالعودة إلى قصيدة الكميت نجدها تحتوي على قدر لابأس به من الموسيقى الداخلية والتي تجلت في:

أ) الطباق: هو من المحسنات البديعية التي تعتمد على الجمع بين الشيء ونقيضه وهو" الجمع بين لفظتين متضادتين متقابلتين في الكلام".[1] والطباق نوعان :

ـ طباق إيجاب: هو الذي يطهر فيه الضدين معا بحيث يختلفان في نوع الكلمة فتكونا متناقضتين مثل: كبير ـ صغير.

ـ طباق سلب: هو الذي تأتي فيه الكلمتان من فعل واحد بحيث تكون الأولى مثبتة والثانية منفية بلاء النافية مثل، يعلمون ـ لا يعلمون.

ومن أمثلة الطباق الموجود في القصيدة نذكر:

الطباق	نوعه	البيت
محرومها ـ مصيبها	إيجاب	03
شيـــن ـ زيـــنة	إيجاب	07
يعـرى ـ كـــاس	إيجاب	09
الشر ـ المعروف	إيجاب	10
الرضـــا ـ الســاخطات	إيجاب	24
تستثيبون ـ لا يستثيبها	سلب	46
معسول ـ صاب	إيجاب	50
شرق ـ مغرب	إيجاب	67
أيـن ـ لا أيـن	سلب	68
أبـــي ـ أمـــي	إيجاب	73
أبدت ـ تـوارت	إيجاب	78
طالت ـ قصار	إيجاب	80

نلاحظ أن الشاعر وظف الطباق بنسبة قليلة مقارنة مع طول القصيدة وكثرة أبياتها، كما نلاحظ أن الطباق الإيجابي غلب على الطباق السلبي فكل الكلمات متضادة تضاد إيجابي

[1] . الأزهر الزناد: دروس في البلاغة العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط 1، 1992، ص 172.

باستثناء طباقين فقط سلبيين، وهذا الطباق فيه ترجمة لحالة الشاعر الشعورية، كما أنه يترك أثرا في نفس المتلقي، وأحدث نوعا خاصا من الموسيقى التي أضفت على القصيدة جرسا وزادت المعاني رونقا وجمالا وقوة ووضوحا.

ب) الجناس: يعد هو الآخر من المحسنات التي تعمل على تقوية الموسيقى الداخلية للنص، لأنه من الظواهر الصوتية التي تطرب السامع وتقوي المعاني ، يعرفه عبد العزيز عتيق بقوله: " هو تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى، وهذان اللفظان المتشابهان نطقا المختلفان معنى يسميان ركني الجناس ولا يشترط في الجناس تشابه جميع الحروف، بل يكفي في التشابه ما نعرف به المجانسة".[1]

والجناس نوعان:

جناس تام: هو ما اتفقت فيه الكلمتين من حيث عدد الحروف وشكلها ونوعها وترتيبها وهو أشهر أنواع الجناس وأكثرها شيوعا.

جناس ناقص: هو ما اختلفت فيه اللفظتان في أحد العناصر المذكورة سابقا أو كلها.

ونستخلص الجناس الذي وظفه الشاعر في الجدول التالي:

الجناس	نوعه	البيت
بعضها ـ ببعض	جناس ناقص(عدد الحروف وترتيبها)	02
مثل ـ مثلها	جناس ناقص(عدد الحروف)	04
غيب ـ تغيب	جناس ناقص (عدد الحروف)	05
كسبا ـ كسوبها	اشتقاق	04
أجهل ـ جهل	ناقص (عدد الحروف)	08
الحلم ـ الحلم	جناس تام	09
أكثر ـ أكثر	جناس تام	11
أقذاء ـ أقذاؤها	اشتقاق	12
ألبا ـ ألوبها	اشتقاق	13

[1] . عبد العزيز عتيق: البلاغة العربية ،علم البديع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 196.

بيني ـ بينها	جناس ناقص (عدد الحروف)	17
كائن ـ كأني	جناس ناقص (نوع الحروف وترتيبها)	25
مر ـ مرة	جناس ناقص (عدد الحروف)	27
شعبا ـ شعوبها	اشتقاق	27
إخوة ـ إخوة	جناس تام	29
أرحام ـ أرحام	جناس تام	30
يعجز ـ عجز	اشتقاق	35
أودت ـ أودى	اشتقاق	40
الفضل ـ فضلا	اشتقاق	43
بين ـ يبين	اشتقاق	46
مطاف ـ مطاخ	جناس ناقص(نوع الحروف)	54
لهاميم ـ بهاليل	جناس ناقص(نوع الحروف وشكلها)	82
مغاوير ـ مساعير	جناس ناقص(نوع الحروف وشكلها)	83
بني ـ نبي	جناس ناقص(ترتيب الحروف)	70

من االجدول نستنتج أن الجناس موجود بنسبة معتبرة فقد وظف الشاعر هذه الظاهرة الصوتية بشكل متكرر في أغلب الأبيات و أكثر من الجناس الناقص والاشتقاق، وقد نسبنا الاشتقاق للجناس بناءا على ما ذهب إليه بعض البلاغيون القدماء الذين ضمنوا الجناس عنصر الاشتقاق أمثال قدامة بن جعفر الذي قال: " و أما المجانس فأن تكون المعاني اشتراكها في ألفاظ متجانسة على جهة الاشتقاق".[1]

والغرض من توظيف الجناس هو تقوية الموسيقى الداخلية وبعثها في النفس قصد جذب القارئ وإثارته.

[1] . قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تح وتع: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 163.

ج) التكرار: هو تقنية أدبية تستخدم بكثرة في النصوص الشعرية والنثرية معا، كما أنه من الظواهر الصوتية التي تعمق الإيقاع الداخلي للنص ويعرف بأنه " عبارة عن الإتيان بالشيء مرة بعد الأخرى".[1]

كما أنه " دلالة اللفظ على المعنى مرددا، كقولك لمن تستدعيه (أسرع أسرع) فإن المعنى مردد واللفظ واحد".[2]

وينقسم التكرار في القصيدة إلى:

1- تكرار الحروف: يعد المنطلق الأول في الإيقاع، حيث نجد الكثير من الحروف المكررة داخل القصيدة مثل حروف الجر والجزم والعطف ومن أمثلة هذا النوع نذكر:

ألا لا أرى الأيام يقضى عجيبها بطول ولا الأحداث تفنى خطوبها
فلـــم أرع ممـــا كان بيني وبينها ولـــم نكن عندي كالدبور جنوبها
وما غيب الأقوام عن مثل خطة تغيـــب عنهـــا يوم قيلت أريـــبها
ستلـــقون ما أجببتم فـــي عدوكم عليكم إذا ما الخيل ثار غضوبها
وإن لـــم يكن إلا الأسـنة مركب فـلا رأي للمحمـــول إلا ركـوبها
ومرســـى حراء والأبـــاطح كلهـا وحيث التقـت أعلام ثور ولـوبها [3]

نلاحظ تكرر عدة حروف في هذه الأبيات وأخرى، حيث أن كل حرف يتكرر مرتين أو أكثر داخل كل بيت فكرر حرف(اللام) في البيت الأول ثلاث مرات، وحروف الجزم (لم) و(ما) مرتين، و(ألا) نكررت مرتين، إضافة إلى حرف الواو الذي تكرر مرات عديدة وكل هذا التكرار يهدف إلى تأكيد صدق عاطفة الشاعر وإصراره على استمرار العلاقة مع قومه .

2- تكرار الكلمات والألفاظ: فتكرار الكلمات هو المستوى الثاني من مستويات التكرار وهو الأكثر شيوعا في الشعر العربي، وقد تكررت كثير من الألفاظ في القصيدة التي ساهمت في تقوية المعنى و أعطت إيحاءات مختلفة ومن ذلك نذكر:

رأيـــت ثيـــاب الحلـم وهي مكنة لذي الحلم يعرى وهو كاس سليبها

---

[1] . الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير ، القاهرة، د ط، 2004، ص 59.

[2] . ابن الأثير(ضياء الدين نصر الله بن محمد الحوفي): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: محي الدين عبد الحميد ومصطفى بابي الحلبي، مصر، د ط، 1939، ص 159

[3] . الكميت بن زيد الأسدي: الديوان، ص 65 ـ 72.

وأكـثر مأتى المرء من مطمئنـه وأكثـر أسبـاب الرجال كذوبـها
ولـم أجد العيـدان أقـذاء أعـين ولكنـما أقـذاؤهـا مـا ينـوبها
وأصبحت من أبوابهم في خطيطة ولا ذنب الأبـواب مرت جذيبهـا
وهـل يعدون بيـن الحبيب فراقه نعـم داء نفس أن يبـين حبيبها
أبـوها أبـي الأدنى وأمـي أمها فمـن أيـن رابـتني وكيـف أريـبها
فـدى لهـم أمـي وأمهـم لهـم إذا البيـض أبدت مـا تورى أتـوبها [1]

نلاحظ تكرار كثير من الألفاظ مثل(الحلم الحلم)، (أكثر أكثر)، (أقذاؤها، أقذاءها) (القوم، قومهم ـ ألبا ألوبها)، تكرارين في البيت نفسه (أبوابهم الأبواب)، (بين يبين ـ الحبيب حبيبها)، (أبوها أبي ـ أمي أمها ـ رابتني أريبها)، (لهم لهم ـ أمي أمهم)، نجد بعض الأبيات التي تكررت فيها ثلاث كلمات متتالية في البيت نفسه وهنا أكثر الشاعر من تكرار الكلمات ليؤكد مدى حبه الكبير لقريش ودفاعه عنهم، والتعبير عن شعوره بالظلم والبعد عنهم بعد كل ما منحهم كم الدعم والود.

3ـ تكرار الأفعال: إلى جانب تكرار الحروف والكلمات يظهر أيضا تكرار الأفعال كما جاء في قوله:

وما غيب الأقوام عن مثل خطة تغيب عنها يـوم قيلت أريـبها
لتتـركنا قرب لـؤي بن غـالب كسامة إذ أودت وأودى عتيبها
ولـكنكم لا تستثيـبون نعـمة وغيركم من ذي يـد يستثيبها
إذا ودأتنا الأرض إن هي ودأت وأفرخ من بين الأمر وقـوبها [2]

كرر الشاعر كل فعل من الأفعال (غيب، أودى، يستثيب، ودأ) مرتين في كل بيت لكن بصيغتين مختلفتين، وفي الأفعال إشارة إلى تغير قريش عن الشاعر وإبعادها له وريهم له بالعداوة وعدم إقرارهم للنعم وكلها أفعال تأكد موقف الشاعر مع قومه.

نستنتج أن التكرار قد توارد كثيرا في هذه القصيدة فلم يكد بيت يخلو منه، ومع ذلك فهو لم يحدث اختلالا في بناء النص الشعري بل عززه بما يتمتع به من سحر موسيقي خالص.

[1] . المصدر السابق، ص 66 .74.
[2] . المصدر نفسه، ص 65 .71.

خلاصة القول إن اللغة بخصائصها تعبر عن قوة ملكة الشاعر اللغوية، وأن الأسلوب هو المتحكم في إبراز شخصية الشاعر الفكرية، أما الصورة الشعرية فإنها توضح مدى إتقان فنون البلاغة، في حين تلعب الموسيقى دورا مهما في ضبط الإيقاع الصوتي للقصيدة.

خاتمة

خاتمة

من أبرز النتائج المتوصل إليها في هذه الدراسة:

أن الشاعر أحد أبرز شعراء العصر الأموي الذين تأثروا بالمذهبية والحزبية فكان من شعراء الشيعة الذين يعتز بهم، كما اشتهر بعلم وثقافة متشعبتين، وامتاز شعره بالقوة والرصانة وغلبة طابع الاحتجاج عليه.

أن الملحمة من الفنون الأدبية الكبرى التي اشتهرت قديما وحديثا، وهي جنس أدبي متميز له من الخصائص والسمات ما يجعله يحظ بالنصيب الأوفر على الصعيد الأدبي.

أن الشعر الملحمي شعر قديم النشأة، وهو شعر قصصي بطولي له بعد قومي يهدف إلى تمجيد الأمة والمجتمع، يعزى أصله إلى عهد اليونان القدماء.

أن شعر الملاحم في التراث العربي القديم كان موجودا غير أنه لن يرق إلى المستوى الفني المطلوب، نتيجة محدودية خيال الإنسان العربي وعامل البيئة.

أن ملحمة الكميت بن زيد هي واحدة من أشهر الملاحم العربية التي لا تقل أهمية عن غيرها من الملاحم الأخرى نظرا لكثرة أبياتها وقيمتها الفنية الكبيرة وتعدد أغراضها.

كما نلاحظ تنوع مضامين الملحمة، واشتمالها على معظم مناحي الحياة في ذلك العصر، فتنوع المحتوى وامتزج بالسياسة على اعتبار أن الشاعر من شعراء الأحزاب.

والشعر السياسي هو الشعر الذي ينبع من عمق السياسة ويسعى إلى خدمة السلطة والدفاع عنها، وأهم ما يميز هذا الشعر العصبية والحماسة التي انطبعت على أغلب شعراء هذا اللون.

أما أبرز ما ميز الجانب التاريخي في القصيدة هو علم الأنساب؛ حيت أكثر الشاعر من ذكر الأعراق والانتماءات واعتز بها، وهذا راجع لعصبيته القبيلة وحميته.

وقد تجلت في الملحمة بعض النواحي الدينية والفكرية تمثلت في بعض الحكم والمواعظ الناتجة عن تجارب الشاعر وخبراته في الحياة، إضافة إلى الفكر الشيعي الذي يطبع الشاعر.

كما ارتبط الجانب الجغرافي في هذه الملحمة ببعض الأماكن والمواقع الطبيعية التي تزخر بها أرض مكة من جبال ومرتفعات وقرى وموارد، وذلك لإبراز العلاقة بين الشاعر وبيئته.

غاص الشاعر في عمق مجتمعه الذي عاش فيه لنقل انطباعه المتمثل في العصبية القبيلة التي تجلت من خلال دفاعه عن قبيلته ونصرته لها على الرغم مما لقيه منها.

ضم الجانب النفسي للشاعر في ملحمته جمله المشاعر والأحاسيس التي انتابته، فجسد حالته الشعورية موظفا أغراض مناسبة لهذا المقام كالشكوى والعتاب والحنين.

من ناحية الخصائص الفنية فإن الشاعر نجح في تحقيق الانسجام بين المواضيع المختلفة، وذلك بواسطة:

اللغة الشعرية التي تميزت بصعوبة الألفاظ وغموضها، وتنوع معجمها وثرائه وبروز ظاهرة التناص بشكل جلي داخل الملحمة.

الأسلوب الذي تراوح بين الخبر والإنشاء، وكان لكل منهما صيغ أغراض مختلفة مثل الأمر والاستفهام والنداء والقسم...

الصورة الشعرية التي تجسدت من خلال جملة من العناصر أبرزها التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز، والتي ساهمت في تحقيق الجانب الجمالي، وتشخيص المعاني وتقوية النسيج الشعري.

الموسيقى الشعرية بنوعيها الخارجية والداخلية التي لعبت دورا فعالا في إلباس الملحمة حلة بديعية وساهمت في تقوية المعاني وإحداث جرس موسيقي تستعذبه الأسماع.

وفي الأخير نسأل الله قبول عملنا منا ونشكره على نعمة التوفيق، ونتمنى أن تكون نهاية هذا البحث بداية لبحوث ودراسات أخرى تنفض الغبار عن جوانب خفية من التراث الأدبي العربي القديم.

ملخص

ملخص

تميز الشعر في العصر الأموي بالثراء والتنوع، فقد نظم الشعراء آنداك في مختلف ضروب الحياة، منهم الكميت بن زيد الأسدي صاحب إحدى الملاحم العربية التي كانت موضوع بحثنا الذي عنوانه: " ملحمة الكميت بن زيد الأسدي دراسة في المضامين والخصائص"، وقد تضم هذا البحث مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة، أما المدخل فتناول التعريف بالشاعر وبفن الملاحم، وفي الفصل الأول درسنا مضامين الملحمة بمختلف فروعها سياسية ،تاريخية، دينية، جغرافية، اجتماعية، ونفسية، أما الفصل الثاني فضم خصائص ملحمة الكميت من نواحي اللغة والأسلوب والصورة الفنية والموسيقى الشعرية وكانت الخاتمة محصلة لأهم النتائج المتوصل إليها من خلال بحثنا هذا.

Resume :

During the umayyad era, poetry was characterized by richness and diversity ; poets have written poems concerning all aspects of life.

One of those poets is Al- komait ibn zaid al- asadi, the author of one of the arabic epics, which is the subject of our dissertation. The dissertation is entitled « the epic, of al- komait ibn zaid al- asadi, a study of contents and characteristics », and it includes an introduction, an entrance, two chapters, and aconclusion.

The first chapter discusses the different content of the epic (political, historical, religious, geographical, social, and psychological). As for the second chapter, it encompasses the characteristics of the poet’s epic from aspects suchas, language, style, figures of speech, and poetic musicaliti.

The conclusion is an aggregation of the results found throughout our research.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش.
- البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل): صحيح البخاري، مكتبة ابن كثير، دمشق، بيروت، ط 1، 2002م.

المصادر

1. ابن الأثير (ضياء الدين نصر الله بن محمد الحوفي): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محي الدين عبد الحميد ومصطفى بابي الحلبي، مصر، د ط، 1939م.
2. الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسن): الأغاني، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، المجلد 7، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 3، 2002م.
3. البغدادي (عبد القادر بن عمير): خزانة الأدب ولب لباب العرب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ج 4، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 4، 1997م.
4. الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر): البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ج 1، دار الجيل، بيروت، لبنان، د ط، د ت.
5. الجاحظ: الحيوان، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ج 3، مطبعة مصطفى باجي الحلبي وأولاده، مصر، ط 2، د ت.
6. الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت): معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، ج 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1963م.
7. ابن خلدون (ولي الدين عبد الرحمان بن محمد): المقدمة، تحقيق وإخراج وتعليق: محمد الدرويش، ج 1، دار يعرب، دمشق، ط 1، 2004م.
8. ابن الذهان النحوي: الفصول في القوافي، تحقيق: صالح بن حسن العايد، دار إشبيليا، د ب، ط 1، 1998م.
9. ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ج 2، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، د ط، د ت.
10. السكاكي (أبو يعقوب بن أبي بكر): مفتاح العلوم، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 2005م.

11- الشيباني (أبو زكرياء يحي بن علي): الكافي في العروض والقوافي، تعليق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، د ت.

12- ابن طباطبا العلوي: عيار الشعر، شرح وتحقيق: عباس عبد الساتر، مراجعة: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 2005م.

13- ابن قتيبة: الشعر والشعراء، راجعه وأعد فهارسه: الشيخ محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، ط 2، 1986م.

14- قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق: عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

15- القرشي (أبو زيد محمد بن أبي الخطاب): جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق وشرح: علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، 1981م.

16- ابن النديم (أبو محمد بن أبي يعقوب إسحاق): الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، ج 1، دون دار نشر، د ط، دت.

الدواوين

17- الأخطل: الديوان، شرح وتصنيف وتقديم: محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 1994م.

18- أبو تمام (حبيب بن أوس الطائي): ديوان الحماسة، شرح: التبريزي، مطبعة التوفيق شارع كلوت، مصر، د ط، 1322هـ.

19- جميل بن معمر: ديوان جميل بثينة، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

20- حسان بن الثابت: الديوان، شرح وكتابة وتقديم: عبده مهنأ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 1994م.

21- الزوزني: شرح المعلقات السبع، تحقيق: محمد خير أبو الوفاء، راجعه وصححه: مصطفى قصاص، مكتبة البشرى، دون بلدة، ط 1، 2011م.

22- أبو طالب: الديوان، جمع وشرح: محمد التونجي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1994م.

23- طه باقر: ملحمة جلجامش أوديسة العراق الخالدة، دون دار نشر، د ط، د ت.

24- عنترة بن شداد العبسي: الديوان، المكتبة الجامعية، بيروت، لبنان، ط 4، 1893م.
25- الكميت بن زيد الأسدي: الديوان، جمع وشرح: محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 1، 2000م.
26- النابغة الذبياني: الديوان، شرح وتقديم: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 3، 1996م.
27- هوميروس: الإلياذة، ترجمة: سليمان البستاني، شركة ذات مسؤولية محدودة، القاهرة، مصر، د ط، د ت.

المعاجم

28- الجرجاني (علي بن محمد السيد الشريف): معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، د ط، 2004م.
29- ابن فارس (أبو الحسن أحمد بن زكرياء): معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، ج 5، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 1972م.
30- الفيروز آبادي (مجد الدين مجمد بن يعقوب): القاموس المحيط، تحقيق: مكتبة التراث، مؤسسة الرسالة، إشراف: نعيم العرقسوسي، بيروت، لبنان، ط 8، 2005م.
31- مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط 2، 1984م.
32- مجمع اللغة العربية (الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث): معجم الوسيط، القاهرة، ط4، 2003م.
33- محمد التونجي: معجم المفصل في الأدب، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 1999م.
34- ابن منظور: لسان العرب، ج 7، مادة سلب، دارصادر، بيروت، ط 3، 2004م.

الموسوعات

35- فالح ناصيف الحجية الكيلاني: موسوعة شعراء العربية، مجلد 3، شعراء العصر الأموي، دط، د ت.

المراجع

. المراجع العربية:

36. إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، مكتبة أنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، دون بلدة، ط 2، 1952م.

37. أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، د ط، د ت.

38. أحمد عثمان: الأدب الإغريقي تراثا إنسانيا وعالميا، منتدى سور الأزبكة، القاهرة، ط 3، 2001م.

39. الأزهر الزناد: دروس في البلاغة العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط 2، 1992م.

40. بطرس البستاني: أدباء العرب في الجاهلية والإسلام، دار نظير عبود، بيروت، د ط، 1989م.

41. جورج غريب: الشعر الملحمي تاريخه وأعلامه، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

42. حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي القديم، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 1، 1986م.

43. حسن عبد الجليل يوسف: موسيقى الشعر العربي دراسة فنية عروضية، ج 1، الهيئة المعرفية العامة للكتاب، دون بلدة، د ط، 1989م.

44. سامي يوسف أبو زيد: الأدب الإسلامي والأموي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط 1، 2012م.

45. سمير مصطفى فراج: شعراء قتلهم شعرهم، مكتبة مدبولي الصغير، دون بلدة، ط 1، 1997م.

46. السعيد الورقي بيومي: لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط 3، 1984م.

47. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط 11، دت.

48. شوقي ضيف: في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ط 5، 1977م.

49. عادل جابر صالح وشفيق محمد الرقب: تاريخ الأدب العربي القديم، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2010م.

50. عبد العزيز عتيق: البلاغة العربية (علم البديع)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

51. عبد القادر القط: في الشعر الإسلامي والأموي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د ط، 1987م.

52. عبد القادر القط: الإتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الشباب، دون بلدة، د ط، 1988م.

53. عباس محمود العقاد: اللغة الشاعرة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د ط، 1995م.

54. عبد الله الغدامي: الخطيئة والتفكير من البنيوية إلى التشريحية، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط 1، 1985م.

55. عبده عبد العزيز قليقلة: البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 3، 1992م.

56. عفيف عبد الرحمان: الشعر الجاهلي حصاد قرن، دار جرير للنشر والتوزيع،عمان، الأردن، ط 1، 2007م.

57. عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، د ب، ط 3، د ت.

58. كمال أبو ديب: في البنية الإيقاعية للشعر العربي، دار العلم للملايين،بيروت، ط 1، 1974م.

59. محمد أبو ربيع: في تاريخ الأدب العربي القديم، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د ط، د ت.

60. محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، إشراف: داليا إبراهيم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 9، 2008م.

61. محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، 1997م.

62. محمد مصطفى هدارة: الشعر في صدر الإسلام والأموي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د ط، 1985م.

63. محمد منذور: الأدب وفنونه، إشراف: داليا إبراهيم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، 2006م.

64. نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث، دار هومة، الجزائر، د ط، 2010م.

. المراجع الأجنبية (المترجمة):

65. سيسيل دل لويس: الصورة الشعرية، ترجمة: أحمد نصيف جناني وآخرون، مراجعة: عناد غزوان إسماعيل، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الصفاة، الكويت، د ط، 1982م.

المقالات

66. حسن علي الهنداوي: أغراض الشعر في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي، جريدة دنيا الوطن، ثقافة، 2006م.

67. رائدة مهدي جابر: العتاب في الشعر العباسي، مجلة كلية التربية الإنسانية، العدد 10، جامعة بابل، 2013م.

68. عباس عبيد الساعدي: الصورة الفنية في شعر الكميت، مجلة أهل البيت، العدد 04، دت.

الرسائل الجامعية

69. بوحلاسي خولة: جماليات الأسلوب في مدحيات آل البيت، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، جامعة أم البواقي، 2016م.

70. صلاح الدين باوية: الحس الملحمي في الشعر الجزائري الحديث والمعاصر، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب العربي الحديث، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجاج لخضر، 2014م.

71. ياسمين آخثر: الشكوى في الشعر العربي في النصف الأول من القرن العشرين، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه، قسم الأدبيات، الجامعة الإسلامية بإسلام أباد، 2010م.

ملحق

1 أَلا لا أَرَى الأَيَّامَ يُقْضَى عَجِيْبُها بِطُولٍ ولا الأَحْداثَ تَفْنَى خُطُوبُها [1]

2 ولا عِبَرَ الأَيَّامِ يَعْرِفُ بَعْضَها بِبَعْضٍ مِنَ الأَقْوامِ إلا لَبِيْبُها [2]

3 ولَمْ أَرَ قَوْلَ المَرْءِ إلاّ كَنَبْلَةٍ بِهِ ولَهُ مَحْرُومُها ومُصِيْبُها [3]

4 ومَا غُبِنَ الأَقْوامُ مِثْلَ عُقُوْلِهِمْ ولا مِثْلها كَسْباً أَفادَ كَسُوبُها

5 ومَا غُيِّبَ الأَقْوامُ عَنْ مِثْلِ خُطَّةٍ تَغَيَّبَ عَنْها يَوْمَ قِيْلَتْ أَرِيْبُها [4]

6 ولا عَنْ صَفاةِ النِّيقِ زَلَّتْ بِناعِلٍ تَرامَى بِهِ أَطْوادُها ولَهُوبُها [5]

- 53 فيه «وداً» ، 85 فيه «كحل» .

والبيت 21 في المخصص 5/16 .

والبيت 28 في أساس البلاغة «وعث» .

والبيت 49 في التمثيل والمحاضرة ص68 .

والبيت 56 في معجم ما استعجم 315/1 ، 62 فيه 289/3 .

والأبيات 47 - 49 في عيون الأخبار 112/3 .

1 في الشعر والشعراء : « لطولٍ ولا الأحداث » .

الخطوب : جمع خطب ، وهو الأمر والشأن ، صغر أو عظم .

2 في اللسان «عبر» : « العِبَرُ : جمع عبرة ، وهي كالموعظة مما يتعظُ به الإنسان ، ويعملُ به ويعتبر ليستدل به على غيره » .

3 في الشعر والشعراء : « له وبه محرومها » .

وفي جمهرة أشعار العرب ص783 : « يعني به محرومها ، وله مصيبها » .

4 في جمهرة أشعار العرب ص783 : « الخطة : الحال » .

الأريب : العاقل ، والأرب : العقل والدين .

5 في المعاني الكبير : « زلّت بنا على » .

وفيه 871/2 : « يقول : تلك الخطة أشد من صفاة النيق ، واللهب : ما بين الجبلين » .

وفي جمهرة أشعار العرب ص784 : « النيق : أعلى الجبل . اللهوب : جمع ، واحده لهب ، وهو مهواة بين جبلين » .

الصفاة : الصخرة الملساء . والأطواد : جمع الطود ، وهو الهضبة .

7 وتَفْنِيْدُ قَوْلِ المَرْءِ شَيْنٌ لِرَأْيِهِ وزِيْنَةُ أَخْلاقِ الرِّجالِ وُظُوبُها [1]

8 وأَجْهَلُ جَهْلَ القَوْمِ مَا فِي عَدُوِّهِمْ وأَقْبَحُ أَخْلاقِ الرِّجالِ عَزِيْبُها [2]

9 رَأَيْتُ ثِيابَ الحِلْمِ وهْيَ مُكِنَّةٌ لِذِي الحِلمِ يَعْرَى وَهْوَ كَاسٍ سَلِيْبُها [3]

10 ولَمْ أَرَ بابَ الشَّرِّ سَهْلاً لأَهْلِهِ ولا طُرُقَ المَعْرُوفِ وَعْثاً كَثِيْبُها [4]

11 وأَكْثَرُ مَأْتَى المَرْءِ مِنْ مُطْمأَنِّهِ وأَكْثَرُ أَسْبابِ الرِّجالِ كَذُوبُها [5]

12 ولَمْ أَجِدِ العِيْدانِ أَقْذاءَ أَعْيُنٍ ولَكِنَّما أَقْذاؤُها ما يَنُوبُها [6]

13 مِنَ الضَّيمِ أَوْ أَنْ يَرْكَبَ القَوْمُ قَوْمَهم رِدافاً مَعِ الأَعْداءِ أَلْباً أَلُوبُها [7]

14 رَمَتْنِي قُرَيْشٌ عن قِسِيٍّ عَداوةٍ وحِقْدٍ كَأَنْ لَمْ تَدْرِ أَنِّي قَرِيْبُها

15 تُوَقِّعُ حَوْلِي تَارَةً وتُصِيْبُنِي بِنَبْلِ الأَذَى عَفْواً جَزاها حَسِيْبُها [8]

16 وكانَتْ سِواغاً إِذْ عَثَرْتُ بِغُصَّةٍ يَضِيقُ بِها ذَرْعاً سِواها طَبِيْبُها [9]

---

1 في جمهرة أشعار العرب ص784 : « ويروى : وزينة أخلاق الرجال غريبها » .

وفي اللسان «وظب» : « وظب على الشيء ، ووظبه وظُوباً ، وواظب : لزمه ، وداومه ، وتعهده».

2 في الشعر والشعراء : « وأردأ أحلامِ » .

أعزب عنه حلمه : ذهب .

3 الحلم : العقل والأناة .

4 الوعث : اللين السهل . والكثيب : الرمل المحدودب المستطيل . وأراد سهولة قطعه .

5 المأتى : المكان الذي يؤتى منه . وأراد أن أكثر ما يُنال الرجل من الموضع الذي يكون مطمئناً له.

6 الأقذاء : جمع القذى ، وهو ما يقع في العين ، وما ترمى به . وينوبها : يصيبها وينزل بها .

7 في جمهرة أشعار العرب ص784 : « ألباً ، أي : مجتمعاً » .

ألبٌ ألوبٌ : مُجتمِعٌ كثير .

8 في جمهرة أشعار العرب ص785 : « عفواً : أي صفحاً » .

9 في الديوان : « وكان سواغاً » . وفي اللسان « أن جئزت ... » . وفي التاج : « جئزت بغصةٍ ... سواهم طبيبها » .

وفي جمهرة أشعار العرب ص785 : « سواغاً ، أي : يسيغ الماء في حلقه » .

17 فَلَمْ أَرْعَ مِمَّا كانَ بَيْنِي وبَيْنَها ... ولَمْ تَكُ عِنْدِي كالدَّبُورِ جَنُوبُها [1]

18 ولَمْ أَجْهَلِ الغَيْثَ الذي نَشَأَتْ بِهِ ... ولَمْ أَتَضَرَّعْ أَنْ يَجِيْءَ غُضُوبُها [2]

19 وأَصْبَحْتُ مِنْ أَبْوابِهِمْ في خَطِيْطَةٍ ... ولا ذَنَبُ الأَبْوابِ مَرْتٌ جَدِيْبُها [3]

20 وللأَبْعَدِ الأَقْصَى تِلاعٌ مَرِيْعَةٌ ... أَقامَ بِها مِثْلَ السَّنامِ عَسِيْبُها [4]

21 رَمَتْنِيَ بِالآفاتِ مِنْ كُلِّ جانِبٍ ... وبَالذَّرِبَيَّا مُرْدُ فِهْرٍ وشِيْبُها [5]

22 بِلا ثَبَتٍ إلا أَقاوِيْلَ كاذِبٍ ... يُحَرِّبُ أُسْدَ الغابِ كَفْتاً وُثُوبُها [6]

- وفي اللسان «سوغ» : « والسواغ ، بكسر السين : ما أسغت به غصّتك . يقال : الماء سِواغ الغُصص ؛ ومنه قول الكميت : وكانت سِواغاً ... » .

1 في الصحاح واللسان والتاج :

فلم أرْغَ مِما كان بيني وبينها ... ولَم أتمرغ أنْ تجنّى غَضُوبُها

وفي الصحاح «مرغ» : « قوله : فلم أرغ ، من رغاء البعير . وأمرغ : إذا أكثر الكلام في غير صواب » .

الدبور : ريحٌ تأتي من دُبُر الكعبة مما يذهب نحو المشرق .

2 الغيث : المطر والكلأ .

3 في الديوان : « ذنب للأبواب » .

وفي جمهرة أشعار العرب ص785 : « الخطيطة : الأرض التي لم تمطر بين أرضين ممطورتين ، واستعارها للحرمان . والمرت : التي لا نبت فيها . جدِيبها : أي مجدبها » .

4 التلاع : جمع تلعة ، وهي ما انهبط من الأرض . ومكان مريع : خصيب ممرع ناجع . والسنام: أعلى ظهر البعير والناقة . وأراد المكان المرتفع . والعسيب : شق الجبل المرتفع ؛ وقيل : اسم جبل .

5 في اللسان : « رمانيَ بالآفات » .

وفي جمهرة أشعار العرب ص786 : « الذربيا ، أي : الدواهي » .

وفي اللسان «ذرب» : « الذَّربيّا ، على فَعَلَيَّا ، وهي الداهية ؛ قال الكميت ... » .

6 في جمهرة أشعار العرب ص786 : « يحرِّبُ : يثير ويُغْضب . كفتاً : سريعاً » .

الثبت ، بالتحريك : الحجة والبيّنة .

23 لَعَمْرُ أَبِي الأَعْداءُ بَيْنِي وبَيْنَها ... لَقَدْ صَادَفُوا آذانَ سَمْعٍ تُجِيْبُها

24 فَلَنْ تَجِدِ الآذانَ إلاّ مُطِيْعَةً ... لَها في الرِّضا أَوْ ساخِطاتٍ قُلُوبُها

25 أَفِي كُلِّ أَرْضٍ جِئْتُها أنا كائِنٌ ... لِخَوْفِ بَنِي فِهْرٍ كَأَنِّي غَرِيْبُها [1]

26 وإِنْ كُنْتُ في جِذْمِ العشيرةِ أَقْبَلَتْ ... عَلَيَّ وُجُوهُ القَوْمِ كرْهاً قُطُوبُها [2]

27 بَنِي ابْنَةِ مُرٍّ أَيْنَ مُرَّةُ عَنْكُمُ ... وعَنَّا التي شَعْباً تَصِيْرُ شُعُوبُها [3]

28 وأَيْنَ ابْنُها عَنَّا وعَنْكُمْ وبَعْلُها ... خُزَيْمَةُ والأَرْحامُ وَعْثاً جُؤُوبُها [4]

29 إذا نَحْنُ مِنْكُمْ لَمْ نَنَلْ حَقَّ إِخْوَةٍ ... على إِخْوَةٍ لَمْ يَخْشَ غِشًّا جُيُوبُها [5]

30 فَأَيَّةُ أَرْحامٍ يُعاذُ بِفَضْلِها ... وأَيَّةُ أَرْحامٍ يُؤَدَّى نَصِيْبُها [6]

31 لَنا الرَّحِمُ الدُّنْيا وللنَّاسِ عِنْدَكُمْ ... سِجَالُ رَغِيْباتُ اللُّهَى وذَنُوبُها [7]

32 مَلأْتُمْ حِياضَ المُلحِمينَ عَلَيْكُمُ ... وآثَارُكُمْ فِيْنا تَضِبُّ نُدُوبُها [8]

---

1 بنو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ... وهم قريش .

2 الجذم : الأصل . والقطب : سيد القوم ، وجمعه أقطاب وقطوب .

3 في جمهرة أشعار العرب ص787 : « مُرّ : أبو تميم بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر » .
وانظر أيضاً جمهرة أنساب العرب ص198 .

4 في جمهرة أشعار العرب ص787 : « الوعث : الشديد . جؤوبها : قطوعها » .
وفي اللسان «وعث» : « قال الكميت يذكر قضاعة وانتسابهم إلى اليمن : وإن ابنها منّا ومنكم... يقول : إن قطيعة الرحم مأثم شديدٌ ، وإنما أصل الوعثاء من الوعث ، وهو الدهس ... والمشي يشتد فيه على صاحبه ، فجعل مثلاً لكل ما يشق على صاحبه » .

5 في الديوان : « غِسًّا جؤوبها » .

6 الأرحام : جمع رحم . ويعاذ بها : يلجأ إليها ، والملاذ : الملجأ .

7 في جمهرة أشعار العرب ص787 : « رغيبات ، أي : وسيعات . واللهى : العطايا . والذنوب : النصيب».
السجل : الدلو العظيمة ، واستعارها للعطاء والكرم . واللهى : جمع لهوة ولهية ، وهي العطية . والذنوب : الدلو فيها الماء .

8 في جمهرة أشعار العرب ص787 : « تضبّ ، أي : تسيل . وندوبها ، أي : آثارها . يريد بالملحمين-

33 سَتَلْقَونَ ما أَحْبَبْتُمُ في عَدُوِّكُمْ عَلَيْكمْ إذا ما الخَيْلُ ثَارَ غَضُوبُها [1]

34 فَلَمْ أَرَ فِيْكُمْ سِيْرَةً غَيْرَ هَذِهِ ولا طُعْمَةً إلاَّ التي لا أَعِيْبُها [2]

35 مَلأْتُمْ فِجاجَ الأَرْضِ عَدْلاً ورَأْفَةً ويَعْجَزُ عَنِّي غَيْرَ عَجْزٍ رَحِيْبُها [3]

36 قَطَعْتُمْ لِسانِي عَنْ عَدُوٍّ تَنالَكُمْ عَقارِبُهُ تَلْداغُها ودَبِيْبُها [4]

37 فَأَصْبَحْتُ فَدْماً مُفْحَماً وضَرِيْبَتِي محالِفُ إفْحامٍ وَعِيٌّ ضَرِيْبُها [5]

38 فَأَرْحامُكُمْ لا تَطْلبنكُمْ فَإنَّها عَواتِمُ لَمْ يَهْجَعْ بِلَيْلٍ طَلِيْبُها [6]

- عليهم الشرّ » .

وفي اللسان «لحم» : « وألحم بين بني فلان شرًّا : جناه لهم » .

1 في اللسان : « ستلقون ما آخِيّكُمْ ... الحرب ثار عكوبها » .

وفي جمهرة أشعار العرب ص788 : « الغضوب : العجاج » .

وفي اللسان «أخا» : « أبو عبيد : الأُخِيَّة : العروة تشد بها الدابة مثنيّة في الأرض ... ويقال : آخِيَة ، بالتخفيف ، ويقال : آخى فلان في فلان آخِيَة فكفرها إذا اصطنعه وأسدى إليه ؛ وقال الكميت : ستلقون ... ما : صلة ، ويجوز أن تكون ما بمعنى أيّ ، كأنه قال : ستلقون أيّ شيء آخيّكم في عدوكم » .

2 السيرة : السُّنّة . والطُّعمة والطّعمة ، بالضم والكسر : وجه المكسب . والطُّعمة ، بالضم : الدعوة إلى الطعام .

3 الفجاج : جمع الفج ، وهو الطريق الواسع بين جبلين ، وقيل : هو الشعب الواسع بين الجبلين.

4 في الديوان : « تلداغها وذبيبها » .

وفي جمهرة أشعار العرب ص788 : « قطعتم لساني ، أي : منعتموني من الكلام » .

العقارب : الشرور والأثام . على التشبيه .

5 في جمهرة أشعار العرب ص788 : « الضريب : اللبن الحامض » .

وفي اللسان «فدم» : « الفدم من الناس : العَيِيُّ عن الحاجة والكلام مع ثقل ورخاوة وقلّة فهم ، وهو أيضاً الغليظ السمين الأحمق الجافي » .

الضريب : النظير . والضريبة : الطبيعة والسجية .

6 في جمهرة أشعار العرب ص788 : « عواتم : أي متأخرة » .

39 إذا نَبَتَتْ سَاقٌ مِنَ الشَّرِّ بَيْنَنا ... قَصَدْتُمْ لَها حَتَّى يُجَزَّ قَضِيْبُها [1]

40 لَتَتْرُكَنا قُرْبَى لُؤَيِّ بنِ غَالِبٍ ... كَسامَةَ إِذْ أَوْدَتْ وأَوْدَى عَتِيْبُها [2]

41 فَأَيْنَ بَلاءُ الدِّيْنِ عَنَّا وعَنْكُمُ ... لِكُلِّ أَكُفٍّ حاقِناتٍ ضَرِيْبُها [3]

42 ولَكِنَّكُمْ لا تَسْتَثِيْبُونَ نِعْمَةً ... وغَيْرَكُمُ مِنْ ذِي يَدٍ يَسْتَثِيْبُها [4]

43 وإِنَّ لَكُمْ لِلفَضْلِ فَضْلاً مُبَرِّزاً ... يُقَصِّرُ عَنْكُمْ بالسُّعاةِ لُغُوبُها [5]

44 جَمَعْنا نُفُوساً صَادِياتٍ إِلَيْكُمُ ... وأَفْئِدَةً مِنَّا طَوِيلاً وَجِيْبُها [6]

45 فَقَائِبَةٌ ما نَحْنُ يَوْماً وأَنْتُمُ ... بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَنْ تَفِيْئُوا وقُوبُها [7]

46 وهَلْ يَعْدُوَنْ بَيْن الحَبِيبِ فِراقُهُ ... نَعَمْ داءُ نَفْسٍ أَنْ يَبِيْنَ حَبِيْبُها

47 ولَكِنَّ صَبْراً عَنْ أَخٍ لَك ضَائِرٍ ... عَزاءً إِذا ما النَّفْسُ حَنَّ طَرُوبُها [8]

---

1 يجذّ قضيبها : يقطع ويكسر .

2 في جمهرة أشعار العرب ص788 : « يعني : سامة بن لؤي حين فارق قومه . وله حديث طويل . أودت : هلكت . عتيبها ، أي : من يعاتبها » .

3 اليد الحاقنة : المملوءة . وضريبها : ما جمعت .

4 في جمهرة أشعار العرب ص789 : « يستثيبها ، أي : يسترجعها » .

5 في جمهرة أشعار العرب ص789 : « السعاة : جمع ساعٍ ، من الجري » .
اللغوب : شدة الإعياء .

6 النفوس الصاديات : العطشى . ووجب القلب يَجِبُ وجباً : خفق واضطرب .

7 في المعاني الكبير : « بني غالبٍ » . وفي اللسان : « بني مالك إن لم تفيئوا وقوبها » .
وفي المعاني الكبير 356/1 : « يقول : إن لم ترجعوا عمّا أنتم عليه فارقناكم غداً كفراق الفرخ بيضته ، إذا خرج منها لم يعد إليها » .
وفي جمهرة أشعار العرب ص789 : « القائبة : البيضة . والقوب : الفرخ » .
وفي اللسان «قوب» : « وقال : وقائبة ما نحن يوماً ... يعاتبهم على تحوّلهم بنسبهم إلى اليمن ؛ يقول : إن لم ترجعوا إلى نسبكم ، لم تعودوا إليه أبداً ، فكانت ثلبة ما بيننا وبينكم . وسُمِّي الفرخ قوباً لانقياب البيضة عنه » .

8 في عيون الأخبار والشعر والشعراء : « عن أخٍ عنك صابرٍ » .

48 رَأَيْتُ عِذابَ الـماءِ إنْ حِيْلَ دُوْنَهُ كَفاكَ لـما لا بُـدَّ مِنْـهُ شَـرِيْبُـهـا [1]

49 وإنْ لَمْ يَـكُـنْ إلاّ الأَسِـنَّـةَ مَرْكَبٌ فَلا رَأْيَ لِلمَـحْـمُـولِ إلاّ رُكُوبُها [2]

50 يَشُوبُونَ للأَقْصَيْـنِ مَعْسُول شِيْمَةً فَـأَنَّـى لَنا بِالصَّابِ أَنَّـى مَشُوبُها [3]

51 كُلُوا ما لَدَيْكُمْ مِنْ سَنامٍ وغَارِبٍ إذا غـيَّـبَـتْ دُودانُ عَنْكُمْ غُيُوبُها [4]

52 سَتَـذْكُـرُنـا مِنْكُمْ نُـفُـوسٌ وأَعْيُنٌ ذَوارِفُ لَمْ تَضْنَنْ بِدَمْعٍ غُرُوبُها [5]

53 إذا وَدَّأَتْـنـا الأَرْضُ إنْ هِيَ وَدَّأَتْ وأَفْـرَخَ مِنْ بَيْنِ الأُمُورِ وَقُـوبُـهـا [6]

54 تَرَكْنا مَطافَ الشِّعْبِ وَهْوَ مَحَلُّنا لَكُمْ ومَطاخ الواجباتِ جُنُوبُها [7]

55 ومَشْـعَـر جَمْعٍ والـمغَاضُ عَشِيَّةً إذا حالَ دُونَ الشَّمْسِ قَصْراً مَغِيْبُها [8]

---

1 في عيون الأخبار والشعر والشعراء : « حيل دونها ... منه شروبها » .

وفي جمهرة أشعار العرب ص790 : « الشريب : الماء الذي فيه عذوبة ، وهو يشرب على ما فيه ».

الشريب : الماء بين العذب والملح ، وليس يشربه الناس إلا للضرورة .

2 في عيون الأخبار : « فلا رأي للمجهود إلا » . وفي الشعر والشعراء ونهاية الأرب : « فلا رأي للمضطر».

الأسنة : جمع سنان . وسنان الرمح : حديدته لصقالتها وملاستها . وأراد ركوب الحرب .

3 في جمهرة أشعار العرب ص790 : « يقول : أنتم لغيرنا عسلٌ ، ولنا صابٌ . فأنّى لنا : كيف لنا بأن تشوبوا لنا مع الصاب عسلاً ، وهما ضدان لا يجتمعان » .

الصاب : عصارة شجرٍ مُرٍّ .

4 في جمهرة أشعار العرب ص790 : « غيوبها ، أي : ما غاب منها » .

السنام : أعلى ظهر الناقة والبعير . والغارب : أعلى مقدم السنام .

5 في جمهرة أشعار العرب ص790 : « غروبها ، أي : مجاري الدمع منها » .

6 في الديوان : « هي وأدت » . وهو تصحيف . وفي الجمهرة : « من بيض الأمور » .

وفي جمهرة أشعار العرب ص791 : « المقوب : البيض المثقوب » .

وفي اللسان «ودأ» : « وقال الكميت : إذا ودّأتنا الأرض ... ودأتنا الأرض : غيّبتنا . يقال : تودّأت عليه الأرض ، فهي مُوَدّأة » .

7 طاخَ الأمرَ طيخاً : أفسده .

8 القصر : الحبس .

56 ومَـرْسَـى حِـراءٍ والأَبـاطِـحُ كُلُّها ... وحَيْثُ الْتَقَتْ أَعْلامُ ثَوْرٍ ولُوبُها [1]

57 ومَـوْرِد خَـيْـلِـنـا عُكاظُ كَـأَنَّـهـا ... بَـواكِـيْـرُ طَـيْـرٍ بَاتَ قِـيًّـا عَدُوُّها [2]

58 وقَـبْـر أَبِي دَاودَ حَيْثُ تَـشَـقَّـقَـتْ ... عَلَيْهِ الـمَآلِي عَصْبُها وسَـبِـيْـبُـهـا [3]

59 تَهَـتَّـكَـهـا البيضُ الشَّغَامِيْمُ حَسْرَةً ... يَهِيْجُ اكتئابَ الـجِنّ وَهْناً كَئِيْبُها [4]

60 بَـنـاتُ نَـبِـيِّ الـلّـهِ وابْـنِ نَـبِـيِّـهِ ... يَكَادُ يُـزِيْـلُ الرَّاسِياتِ نَحِـيْـبُـهـا [5]

61 قَـواطِـنُ بَـيْـتِ الـلّـهِ هُنَّ حَـمـامـه ... بِزَمزَمَ يَوْمَ الوِردِ يَـلْـقَـى مُهِـيْـبُـهـا

62 بِسَفْحِ أَبِي قابُوسَ يَـنْـدُبْـنَ هَالِكاً ... يُخفِّضُ ذاتَ الولدِ عَنْها وَقُوبُها [6]

63 أَبُونا الذي سَنَّ الـمـئِـيـنَ لِـقَـوْمِـهِ ... دِياتٍ وَعَـدَّاهـا سَلوفاً مُـنِـيْـبُـهـا [7]

---

1 في معجم ما استعجم : « ومرسى ثبير » .

وفي جمهرة أشعار العرب ص791 : « اللابة : الحرّة ، وجمعها لوبٌ ، ولابٌ » .

حراء : جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال . والأباطح : جمع البطحاء ، وهي مسيل فيه دُقاق الحصى . وبطحاء مكة وأبطحها : معروفة لانبطاحها . والأعلام : جمع علم ، وهي الأحجار الكبيرة تنصب مناراً ليستدل بها . وثور : اسم جبل بمكة فيه الغار الذي اختفى فيه النبي ، صلى الله عليه وسلم .

2 في جمهرة أشعار العرب ص791 : « قيّ : في الصحراء » .

3 في جمهرة أشعار العرب ص791 : « السبيب : الثوب الرقيق » .

وفي اللسان «ألا» : « والمئلاة بالهمز ... خرقة تمسكها المرأة عند النوح ، والجمع المآلي » .

4 الشغاميم : جمع الشغموم ، وهو الطويل التام الحسن من الناس والإبل . والوهن : نحوٌ من نصف الليل.

5 الراسيات : الجبال الثوابت . ونحيبها : صوت بكائها .

6 في معجم ما استعجم : « تَخَفَّض ... عنها رقوبها » .

وفيه 315/1 : « أبو قابوس .... يقال لأبي قبيس الجبل المعلوم بمكة أبو قابوس أيضاً » .

ندب الميت : بكى عليه وعدّد محاسنه .

7 في المعاني الكبير : « سُنّ المئون » .

وفيه 1008/2 : « عدّاها : أمضاها سُنَّةً . سلوفاً : متقدماً . منيبها : مطيعها ، وقيل : السابق ».

سنّ الشيء : جعله سُنَّةً يسير عليها . والمئين : الإبل . وأراد الإبل التي تدفع دية .

64 وسَلَّمها فَاسْتَوْثَقَ النَّاسُ للتي يُعلَّلُ مِمَّا سَنَّ فِيْهِمْ جُدُوبُها [1]

65 غَنائِم لَمْ تَجْمَعْ ثَلاثاً وأَرْبَعاً مَسائِلَ بِالإلْحافِ شَتَّى ضُرُوبُها [2]

66 فَلَمَّا نَفَيْتُمْ عَنْ تِهامَةَ كُلَّها بُيُوتاً هِيَ الأَدْنَى إِلَيْكُمْ نَسِيْبُها [3]

67 فَرَغْتُمْ لَنا في كُلِّ شَرْقٍ ومَغْرِبٍ بِنا ولَنا أَظْفارُكُمْ وعُلُوبُها [4]

68 فَأَيْنَ سِواكُمْ أَيْنَ لا أَيْنَ مَذْهَبٌ وهَلْ لَيْلَةٌ قَمْراءُ نَاجٍ طَلِيْبُها

69 يُعاتِبُنِي في النُّصْحِ فِهْرُ بنُ مَالِكٍ ولَمْ تَدْرِ ما يَخْفِي الضَّمِيرُ عُيُوبُها [5]

70 ولَوْ مَاتَ مِنْ نُصْحٍ لِقَوْمٍ أخُوهُمُ لَقَدْ لَقِيتني بالمنايا شَعُوبُها [6]

71 ولَوْ كَانَ تَخْلِيداً لِذِي النُّصْحِ نُصْحُهُ لَمَلَّئْتُ دُنْيا ما أَقامَ عَسِيْبُها [7]

72 أُطَيِّبُ نَفْسِي عَنْ لُؤَيِّ بنِ غَالِبٍ وهَيْهاتَ مِنِّي ثُمَّ هَيْهاتَ طيبُها [8]

73 أَبُوها أَبِي الأَدْنَى وأُمِّيَ أُمُّها فَمِنْ أَيْنَ رابَتْنِي وكَيْفَ أُرِيْبُها [9]

---

1 في المعاني الكبير : « واستوثق الناس للتي تعلل فيما سَنَّ » .
وفيه 1008/2 : « يقول : مَنْ عابها تعلل ، لأنه لا يجد عيباً » .

2 الغنائم : جمع الغنيمة . وشتى : مختلفة . والضروب : جمع ضرب ، وهو المثل والشبيه .

3 تهامة : اسم مكة والنازل فيها مُتْهِمٌ .

4 في الديوان : « فزعتم » .
العلوب : جمع العلب ، وهو أثر الضرب وغيره .

5 في جمهرة أنساب العرب ص464 : « قريش هم : بنو فِهر بن مالك بن النضر بن نزار بن معدّ بن عدنان » .

6 المنايا : جمع منية ، وهي الموت . والشعوب : المنية ، لأنها تفرّق .

7 ملّئت : ملأت . وعسيب : جبل بعالية نجد . يقال : لا أفعل كذا ما أقام عسيب .

8 في جمهرة أنساب العرب ص12 : « ولد فهر بن مالك بن النضر ... وهم قريش ، لا قريش غيرهم ، ولا يكون قريشيّ إلا منهم ... ولد فهر بن مالك غالب ... فولد غالب بن فهر : لؤي بن غالب ..».

9 الريب : صروف الدهر . والريب والريبة : الشك ، والظنة ، والتهمة ، والريب : ما رابك من أمرٍ ، وقد رابني الأمر .

74 إذا سِمْتُ نَفْسِي عَنْ بَنِي النَّضْرِ سَلْوَةً عَصَتْنِي فَلَم يَسْلَسْ لِطَوْعٍ جَنِيْبُها [1]

75 أَلا بِأَبِي فِهْرٌ وأُمِّيَ مَالِكٌ ولَوْ كَثرتْ عِنْدِي وَفِيَّ ذُنُوبُها

76 هُمُ صَفْوةُ اللَّهِ الخيارُ وفِيْهِمُ تَأَرَّثُ نِيْرانُ الهُدَى وثُقُوبُها

77 عَلَيْهِمْ ثِيابُ النَّضْرِ وابْنَيْهِ مَالِك وفِهْر صِحاحاً لَمْ يُدَنِّسْ قَشِيْبُها [2]

78 فِدًى لَهُمُ أُمِّي وأُمُّهُمُ لَهُمْ إذا البِيْضُ أَبْدَتْ ما تَوارَى أَتُوبُها [3]

79 لَهُمْ مشيَةٌ لا يحدِثُ الحَرْبُ غَيْرَها إذا ما نُحورُ القَوْمِ بَلَّ خَضِيْبُها [4]

80 بِمشيَتِهِمْ طَالَتْ قِصارُ سُيُوفِهِمْ حِفاظاً إذا ما الحَرْبُ شَبَّ شُبُوبُها [5]

81 يَزِيْدُهُمُ عَجْمُ الكَرابَةِ نَجْدَةً وعِزًّا إذا العِيْدانُ خَانَ صَلِيْبُها [6]

82 لَهامِيْمُ أَشْرافٌ بَهالِيْلُ سَادَةٌ إذا السَّنَةُ الشَّهْباءُ عَمَّ سغُوبُها [7]

---

1 سام نفسه : كلفها المشقة . والنضر : هو النضر بن كنانة بن خُزيمة بن مدركة بن إلياس . والسلوة : النسيان .

2 النضر : هو النضر بن كنانة بن مدركة بن إلياس . ومالك : هو مالك بن النضر بن كنانة . وفهر: هو فهر بن مالك . والقشيب : الثوب الجديد النظيف .

3 تواري : تخفي . والأتوب : جمع الإتب ، وهو برد أو ثوبٌ يؤخذ فيشق في وسطه ، ثم تلقيه المرأة في عنقها من غير جيب ولا كمّين . والبيض : أراد النساء الحرات الكريمة .

4 النحور : جمع نحر ، وهو الصدر ، وقيل : موضع القلادة منه . والخضيب : لون الحمرة ، وأراد الدماء التي تخضب النحور .

5 قوله : بمشيتهم ، أي : في الحرب بمشيهم إلى عدوهم تصبح سيوفهم طويلة . أراد شجاعتهم وجرأتهم . والحفاظ : المحافظة . وشب الحرب يشبها : أوقد نارها .

6 الكَرابة والكُرابة : التمر الذي يلتقط من أصول الكرب ، بعد الجداد . والعجم : العضّ . والعود الصليب : القوي المتين .

7 اللهاميم : جمع لهموم ، وهو الجواد من الناس والخيل . والبهاليل : جمع بهلول ، وهو العزيز الجامع لكل خير . وسنة شهباء ، أي : بيضاء من الجدب وكثرة الثلج ، لا يرى فيها خضرة نبات . والسغوب : الجوع .

83 مَغاوِيْرُ أَبْطالٌ مَساعِيْرُ في الـوَغَـى إذا الـخَـيْـلُ لَمْ تَثْبُتْ وَفَرَّ أَرِيْبُها [1]

84 قُـدُوْرُهُـمُ تَـغْـلِي أَمـامَ فِـنـائِـهِـمْ إذا ما الـثُّـرَيَّـا غَابَ عَصْراً رَقِيْبُها [2]

85 إذا ما الـمَراضِيْعُ الخِماصُ تَأَوَّهَتْ ولَمْ تَنْدَ مِنْ أَنْواءِ كحْلٍ جُبُوبُها [3]

86 ورُوِّحَتِ الأَشْوالُ والشَّمْسُ حَيَّةٌ حَدابِيْرُ حُدْباً كالـحَقائِقِ نِـيْـبُـهـا [4]

87 وأَسْكَتَ دَرَّ الفَحْلِ واسْتَرعَفَتْ بِهِ حَراجِيْجُ لَمْ تَلْقَحْ كِشافاً سَلُوبُها [5]

88 وبَادَرَها دِفْءُ الكَنِيفِ ولَمْ يُـعِـنْ عَلى الضَّيْفِ ذِي الصَّحْنِ الْمُسِنَّ حلُوبُها [6]

* * *

---

1 المغاوير : جمع مغوار ، ورجل مغوار : مقاتل كثير الغارات على أعدائه . ومساعير : جمع مسعر . ومسعر حرب : موقدها ، أي : تحمي به الحرب . والوغى : الحرب . والأريب : الداهي البصير بالأمور .

2 الفناء : الساحة على باب الدار . والثريا : نجم . أراد كرمهم وجودهم .

3 في اللسان : « كحل جنوبها » .

وفي جمهرة أشعار العرب ص794 : « كحل : سنة » .

وفي اللسان «كحل» : « وكحل : السنة الشديدة ، تصرف ولا تصرف ... كحل : السماء ، وأنشد للكميت : إذا ما المراضيع ... » .

الجبوب : الأرض الصلبة والحجارة .

4 الأشوال : جمع شول ، وهي البقية من اللبن في الضرع . وأراد النوق الأشوال . والحدابير : جمع حدبار ، وهي الناقة الضامرة التي قد يبس لحمها من الهزال وبدت حراقفها . والحق من الإبل الولد الذي بلغ أن يركب ويحمل عليه . والنيب : جمع ناب ، وهي المسنّة من النوق .

5 في المعاني الكبير : « وأسكت رِزُّ الفحل » .

وفيه 1242/3 : « رزه : صوته انقطع من شدة البرد . واسترعفت : تقدمت . والكشاف : أن تلقح في دمها بعد الولد . والسلوب : التي سُلبت ولدها » .

وفي جمهرة أشعار العرب ص794 : « السلوب : التي تسقط ولدها » .

6 في جمهرة أشعار العرب ص794 : « يعني : أنه لم يُعِنْ على الضيف من كثرة لبنه » .

الكنيف : حظيرة من خشب أو شجر تتخذ للإبل والغنم .

++

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

إهداء.....

شكر وعرفان.....

مقدمة..... أ ـ ج

مدخل: (الشاعر وفن الملاحم)..... 2 ـ 17

أولا ـ التعريف بالشاعر..... 2

1. مولده ونسبه..... 3

2. مذهبه..... 4

3. علمه وثقافته..... 4

4. شعره ومكانته..... 5

ثانيا ـ التعريف بالملحمة..... 6

1. لغة..... 6

2. اصطلاحا..... 7

ثالثا ـ مفهوم الشعر الملحمي..... 9

رابعا ـ شعر الملاحم في التراث العربي القديم..... 12

خامسا ـ ملحمة الكميت بن زيدالأسدي..... ... 15

الفصل الأول: تحليل مضامين الملحمة.....19 ـ 46

أولا ـ المضامين السياسية.....19

1. الفخر.....22

2. الحماسة.....24

ثانيا ـ المضامين التاريخية..... 27

1. الأنساب.....27

ثالثا ـ المضامين الفكرية.....30

1ـ الحكم والمواعظ.....30
2ـ الفكر الشيعي.....33
رابعا ـ المضامين الجغرافية(الطبيعية).....35
خامسا ـ المضامين الاجتماعية.....37
1ـ العصبية القبلية.....37
سادسا ـ المضامين النفسية.....39
1ـ الشكوى.....39
2ـ العتاب.....41
3ـ الحنين والاغتراب.....44
الفصل الثاني: الخصائص الفنية للملحة.....48 ـ 82
أولا ـ لغة القصيدة.....48
1ـ الألفاظ الغريبة.....49
2ـ الحقل المعجمي.....49
3ـ التناص.....50
ثانيا ـ الأسلوب.....55
1ـ الأسلوب الإنشائي.....56
2ـ الأسلوب الخبري.....58
ثالثا ـ الصورة الشعرية.....61
1ـ التشبيه.....62
2ـ الاستعارة.....65
3ـ الكناية.....68
4ـ المجاز.....70
رابعا ـ الموسيقى الشعرية.....72
1ـ الموسيقى الخارجية.....72

أ) الوزن.....73
ب) القافية.....74
ج) الروي.....75
2ـ الموسيقى الداخلية.....76
أ) الطباق.....77
ب) الجناس.....78
ج) التكرار.....80
خاتمة..... 84
ملخص.....87
قائمة المصادر والمراجع.....89
ملحق.....96
فهرس الموضوعات.....108